

القسم الأول

علم المعاني

إنَّ الكلامَ البليغَ: هو الذي يَصَوِّرُهُ المتكَلِّمُ بصورةً تناسِبُ أحوالَ المخاطبين. وإذا لا بُدَّ لطالبِ البلاغةِ أن يدرسَ هذه الأحوالَ، ويعرفَ ما يجبُ أن يَصَوِّرَ به كلامه في كلِّ حالة، فيجعلُ لكلِّ مقامٍ مقالاً. وقد اتفقَ رجالُ البيانِ على تسميةِ العلمِ الذي تُعرَفُ به أحوالُ اللفظِ العربيِّ التي بها يُطابِقُ اقتضاءُ الحالِ باسمِ «علمِ المعاني»^(١).

تعريف علم المعاني وموضوعه وواضعه:

١ - علم المعاني: أصولٌ وقواعدُ يُعرَفُ بها أحوالُ الكلامِ العربيِّ التي يكونُ بها مُطابِقاً لِمُقْتَضَى الحالِ^(٢)، بحيثُ يكونُ وَفْقَ الغَرَضِ الَّذِي سِيَقَ له.

(١) قال بعضُ العلماء: المعاني المتصوِّرةُ في عقولِ الناسِ المتصلةُ بخواطرهم، خفيةٌ بعيدةٌ. لا يعرفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه، ولا حاجةَ أخيه، ولا مُرادَ شريكِهِ ولا المعاوَنةَ له على أمره، إلا بالتعابيرِ التي تُقرِّبُها من الفمِ وتجعلُ الخفيَّ منها ظاهراً والبعيدَ قريباً. فهي تخلصُ الملتبسَ، وتحلُّ المنعقدَ، وتجعلُ المهملَ مقيّداً، والمقيدَ مطلقاً، والمجهولَ معروفاً، والوحيثيَّ مألوفاً، وعلى قدرِ وضوحِ الدلالةِ وصوابِ الإشارةِ يكونُ ظهورُ المعنى. والعاقِلُ يكسو المعاني في قلبه، ثم يُبديها بالفاظٍ عرائسَ في أحسنِ زينة، فينالُ المجدَّ والفخارَ، ويلحظُ بعينِ العظمةِ والاعتبارِ. والجاهلُ يستعجلُ في إظهارِ المعاني قبلَ العنايةِ بتزيينِ معارضِها، واستكمالِ محاسنها. فيكونُ بالذمِّ موصوفاً، وبالنقصِ معروفاً. ويسقطُ من أعينِ السامعينَ، ولا يدرُجُ في سلكِ العارفينَ.

واعلم أنَّ الأصلَ في اللفظِ أن يُحمَلَ على ظاهرِ معناه. ومن يذهبُ إلى التأويلِ يفتقرُ إلى دليلٍ، كما جاء في القرآن: ﴿وَيَاكَ فَطَقِرَ﴾ [المذثر: ٤]، فإنَّ الظاهرَ من لفظِ «الثياب» هو ما يُلبَسُ. ومن تأوَّلَ ذهبَ إلى أنَّ المرادُ هو القلبُ لا الصلبوسُ. وهذا لا بدَّ له من دليلٍ، لأنه عدولٌ عن ظاهرِ اللفظِ. واعلم أيضاً أنه يجبُ صناعةٌ على معاني المعاني أن يرجَّحَ المعاني بحيثُ يرجُّحُ بينَ حقيقةٍ ومجازٍ، أو بينَ حقيقتينِ، أو مجازينِ.

(٢) الحالُ هو الأمرُ الداعي للمتكلِّمَ إلى إيرادِ خصوصيةٍ في الكلامِ، وتلكِ الخصوصيةُ هي مقتضى الحالِ. مثلاً إنَّ كانَ بينك وبينَ مخاطبك عهدٌ بشيءٍ، فالعهدُ حالٌ يقتضي إيرادَ الكلامِ معروفاً. والتعريفُ هو مقتضى الحالِ. فالحالُ هو ما بعدَ لامِ التعليلِ المذكورةِ بعد=

فذكاء المخاطب حال تقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه، كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مُطناً، فهو مطابق لمقتضى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغاً، ولو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

٢ - وموضوعه: اللفظ العربي، من حيث إفادته المعاني الثواني^(١) التي هي الأغراض المقصودة للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملاً على تلك الأنطائِف والخصوصيات، التي بها يُطابق مقتضى الحال.

٣ - وفائدته:

أ - معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب، ولطيف الإيجاز. وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارث عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب - والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه، كي تحتذي حذوه، وتنسج على منواله، وتفرّق بين جيد الكلام ورديئه.

٤ - وواضعه: الشيخ عبد القاهر الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١ هـ^(٢).

= كل خصوصية، كقولك في الذكر: لكون ذكره الأصل. وفي الحذف: حذف للاستغناء عنه. وهلمّ جزأ.

(١) أي والمعاني الأول، ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب. وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتكثير. قال بعض أهل المعاني: الكلام الذي يوصف بالبلاغة، هو الذي يدلّ بلفظه على معناه اللغوي، أو العرفي، أو الشرعي. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلّم إثباته أو نفيه. فهناك ألفاظ ومعاني أول، ومعاني ثوان، فالمعاني الأول هي مدلولات التركيب، والألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى، والمعاني الثواني: الأغراض التي يساق لها الكلام. ولذا قيل: مقتضى الحال هو المعنى الثاني كرد الإنكار ودفع الشك. مثلاً إذا قلنا: إن زيداً قائم. فالمعنى الأول هو القيام المؤكد. والمعنى الثاني هو رد الإنكار، ودفع الشك بالتوكيد، وهلمّ جزأ. والذي يدل على المعاني خمسة أشياء: اللفظ، والإشارة، والكتابة، والعقد، والحال.

(٢) اعلم أنه لما احتدم الجدل صدر الدولة العباسية، إبان زهو اللغة وعزّها في بيان وجوه إعجاز القرآن، وتعددت نزعات العلماء في ذلك. ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين =

٥ - واستمداده: من الكتاب الشريف، والحديث النبوي وكلام العرب.
واعلم أن المعاني جمع معنًى، وهو في اللغة المقصود. وفي اصطلاح
البيانين: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية، من
حيث تُقصد من اللفظ.

واعلم أن لكل جملة ركنين:

أ - مُسنداً، ويسمى محكوماً به، أو مُخبراً به.

ب - ومُسنداً إليه، ويسمى محكوماً عليه، أو مُخبراً عنه.

وأما النسبة التي بينهما فتدعى «إسناداً».

وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول، وحال، وتميز، ونحوهما،
فهو قيد زائد على تكوينها، إلا صلة الموصول، والمضاف إليه.^(١)

= أئمة اللغة والنحو، أنصار الشعر القديم الذين جَنَحُوا إلى المحافظة على أساليب العرب،
ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم. وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث
الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم، وأمنوا بأن للحضارة التي غَدُوا بلبانها آثاراً، غَدُوا
معهما في جل من كل قديم. ولما شَجَرَ الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام
ورديته، دعت هذه البواعث وفتحت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها
الباحثون، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب المنشور منها والمنظوم. لا نعلم أحداً
سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في
علم البيان يسمى «مجاز القرآن»، كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني،
وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن»، وابن قتيبة في كتابه
«الشعر والشعراء»، والمبرد في كتابه «الكامل». ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع
الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ. وما زالت هذه
العلوم تسير في طريق النمو، حتى نزل في الميدان الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد
الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمر عن ساعد الجد، فذوّن كتابه: أسرار
البلاغة، ودلائل الإعجاز. وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثر عبد القاهر جار الله
الزمخشري، فكشف في تفسيره «الكشاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته،
وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا. وقد أبان خلالها كثيراً من قواعد هذه الفنون. ثم
نهض بعده أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، فجمع في القسم الثالث من كتابه
«المفتاح» ما لا مزيد عليه. وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون
مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت
أشبه بالمعاني والألغاز.

(١) اعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني، بل منها جمل رئيسية وجمل
غير رئيسية. والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها، والثانية ما كانت قيداً =

والإسناد: انضمام كلمة^(١) «المند» إلى أخرى^(٢) «المسند إليه» على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى: ثبوتاً، أو نفيًا.^(٣)

= إعراباً في غيرها، وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي: أدوات الشرط، والنفي، والتوابع، والمفاعيل، والحال، والتمييز، وكان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظن وأخواتها، كما سيأتي.

(١) أي، وما يجري مجراها.

(٢) أي، وما يجري مجراها، كما سيأتي.

(٣) تنبيه: الإسناد مطلقاً قسمان: حقيقة عقلية، ومجاز عقلية. فالحقيقة العقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وُضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو: تجري الأمور بما لا يشتهي البشر، وأنبأ الله النبات. والمجاز العقلي (ويسمى إسناداً مجازياً، ومجازاً حُكيمياً، ومجازاً في الإسناد) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له نحو: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. وله علاقات شتى فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو: سئل مُفَعَّم بفتح العين أي مملوء. فإسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية. ويلائمه المفعول به لوقوعه عليه نحو: ﴿عِشَّةً رَائِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١]، فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به مجاز عقلي، ملابسته المفعولية. ويلائمه الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو: صام نهاره، وسأل الميزاب. ونهار صائم، ونهر جار. ويلائمه المصدر نحو: جدّ جدّه. ويلائمه السبب نحو: بنى الأمير المدينة. وكما يقع المجاز العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية: كمكر الليل، وجزي الأنهار، وشقاق بينهما.

وغراب البين (على زعم العرب). وفي النسبة الإيقاعية نحو: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥١]، وأجريت النهر. وكما يكون في الإثبات يكون في النفي، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا رَیَحَتْ يَحْدَرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وما نام ليلى، على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلى قصداً إلى إثبات النفي، لا نفي الإثبات، ويكون أيضاً في الإنشاء كما سبق الإشارة إليه، نحو قوله تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ تَأْمُرَكَ﴾ [هود: ٨٧]، ونحو: ﴿يَكْفُرُ أَتَى لِي مَرَمًا﴾ [غافر: ٣٦]، وَلَيْصُمَ نهارك، وَلَيَجِدْ جَدُّكَ، وليت النهر جار، وما أشبه ذلك.

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيّتهما أربعة، لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو: أنبت الربيع البقل، أو مجازان لغويان نحو: أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهبيح القوى النامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين. والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقضي الحس والحركة، وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية. وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة. أو المسند حقيقة لغوية، والمسند إليه مجازي لغوي، نحو: أنبت البقل شباب الزمان. أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو: أحيا الأرض الربيع. ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير: نحو ما تقدّم، ونحو: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ رَأَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿يَبْرُحُ عَنْهُمْ لِإِسْهَمًا﴾ [الأعراف: ٢٧]، و﴿وَأَخْرَجَ الْأَرْضَ أَفْغَالًا﴾ =

نحو: الله واحد لا شريك له .

ومواضع المسند ثمانية:

- ١ - خبرُ المبتدأ، نحو «قادرٌ» من قولك: الله قادرٌ .
- ٢ - والفعلُ التام، نحو «حضر» من قولك: حضرَ الأمير .
- ٣ - واسمُ الفعل ، نحو: هيهات، ووَيٍّ، وآمين .
- ٤ - والمبتدأ الوصفُ المستغني عن الخبر بمرفوعه، نحو «عارف» من قولك: أعارفُ أخوك قدرَ الإنصاف؟

= [الزلزلة: ٢]، و ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]. ولا بدّ من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة. والقرينة إما لفظية وإما معنوية، فاللفظية كقولك: هزمَ الأميرُ الجندَ وهو في قصره. والمعنوية كاستحالة قيام المسندِ بالمسندِ إليه المذكور معه عقلاً، بمعنى أنه لو خُلِيَ العقلُ ونفسه عُدَّ ذلك القيامُ محالاً، كقولك: محبُّك جاءك بي إليك. لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلاً. وكاستحالة ما ذكر عادة، وإن أمكن عقلاً. وكان يصدر من الموحد، نحو:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ — رَكَرُ الْغِدَاةِ وَمَرُّ الْعِشْيِ
فإن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على إسنادِ أشابَ وأفنى إلى كَرُ الغداةِ ومرُّ العشي مجاز. ثم هذا غير داخل في الاستحالة، إذ قد ذهب إليه كثيرٌ من المبطلين. ولا يجب أن يكونَ في المجاز العقلي للفاعل يعرفُ الإسناد إليه حقيقة. بل تارةً يكونُ له فاعلٌ يعرفُ إسناده إليه حقيقةً كما تقدم، وتارةً لا، نحو قوله:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا — إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا
فإن إسنادَ الزيادةِ للوجهِ مجازٌ عقلي وليس لها - أي الزيادة - فاعلٌ يكونُ الإسنادُ إليه معروفاً حقيقةً، ومثله: سَرَنِي رُؤْيُكَ، وأَقْدَمَنِي بِلَدُكَ حَقٌّ لِي عَلَيْكَ. فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فاعلٌ له يعرفُ الإسناد إليه حقيقة، كما قال الشيخ عبد القاهر. وقيل: لا بدّ له من فاعلٍ يعرفُ الإسناد إليه حقيقةً، ومعرفته إما ظاهرةً نحو: ﴿فَمَا رَجَحْتَ بِمَحْدَرْتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، أي فما ربحوا في تجارتهم، وإما خفية كهذه الأمثلة، والفاعل الله تعالى.

هذا، وقد أنكرَ السكاكي المجازَ العقليَ ذاهباً إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلكِ الاستعارة بالكنائية، فنحو: أثبتَ الربيعُ البقلَ، يجعلُ الربيعَ استعارةً عن الفاعلِ الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، ويجعلُ نسبة الإثباتِ إليه قرينةً للاستعارة. وسيأتي مذهبه إن شاء الله تعالى في فنِّ البيان عند الكلام على الاستعارة بالكنائية.

تنبيه: ذكرَ بعضُ المؤلفين (مبحثُ المجاز العقلي والحقيقة العقلية) في أحوال الإسنادِ من علم المعاني، وبعضهم ذكرهما في فنِّ البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز، ولكل وجهة.

- ٥ - وأخبارُ التَّواسخِ: كان ونظائرُها وإنَّ ونظائرُها.
 - ٦ - والمفعولُ الثاني لظنٍّ وأخواتها.
 - ٧ - والمفعولُ الثالث لأرى وأخواتها.
 - ٨ - والمصدرُ النائبُ عن فعلِ الأمر، نحو: «سعيًا في الخير».
- ومواضعُ المسندِ إليه ستة:
- ١ - الفاعلُ، للفعل التَّام أو شبهه، نحو (فؤاد، وأبوه) من قولك: حضرَ فؤادُ العالمُ أبوه.
 - ٢ - وأسماءُ النواسخِ، كان وأخواتها، وإنَّ وأخواتها، نحو (المطر) من قولك: كان المطرُ غزيرًا، ونحو: إنَّ المطرَ غزير.
 - ٣ - والمبتدأ الذي له خبرٌ، نحو (العلم) من قولك: العلمُ نافع.
 - ٤ - والمفعولُ الأول، لظنٍّ وأخواتها.
 - ٥ - والمفعولُ الثاني، لأرى وأخواتها.
 - ٦ - ونائبُ الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾^(١).
- ثم إنَّ المسندَ والمسندَ إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام:
- ١ - وإما أن يكونا كلمتين حقيقتَ، كما ترى في الأمثلة السالفة.
 - ٢ - وإما أن يكونا كلمتين حُكمًا، نحو «لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار» أي: توحيدُ الإلهِ نجاةٌ من النار.
 - ٣ - وإما أن يكونَ المسندُ إليه كلمةً حكمًا، والمسندُ كلمةً حقيقةً، نحو: «تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ»^(٢) أي: «سماحك بالمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ رُؤْيِيهِ».
 - ٤ - وإما بالعكس، نحو: «الأميرُ قَرَبَ قَدُومُهُ»^(٣) أي الأميرُ قريبٌ قَدُومُهُ.

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩ .

(٢) مثلُ معروفٍ يقال لمن السماعُ عنه خَيْرٌ مِنْ رُؤْيِيهِ.

(٣) ففي الأول يُؤوَلُ «سماحك بالمُعِيدِي خَيْرٌ». وفي الثاني: الأميرُ قريبٌ قَدُومُهُ. وفي نحو: لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار، عدم شريك للمولى نجاة من النار.

وَيُسَمَّى الْمَسْنَدُ وَالْمَسْنَدُ إِلَيْهِ : رُكْنِي الْجُمْلَةِ .
وَكُلُّ مَا عَدا هُمَا يُعْتَبَرُ قِيداً زائداً عليها ، كما سبق الكلامُ عليه .
وينحصرُ «علم المعاني» في ثمانية أبواب ، وخاتمة .

* * *

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول في حقيقة الخبر

الخبر: كلامٌ يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاته. ^(١) وإن شئتَ فقل: «الخبرُ هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدونِ التُّطَق به» نحو: العلمُ نافعٌ، فقد أثبتنا صفةَ النفع للعلم، وتلك الصِّفةُ ثابتةٌ له سواءً تَلَفُّظَت بالجملة السابقة أم لم تَلَفُّظْ، لأنَّ نفعَ العلم أمرٌ حاصلٌ في الحقيقة والواقع. وإنما أنتَ تحكي ما اتفق عليه النَّاسُ قاطبةً، وقضتَ به الشرائعُ، وهَدَّتْ إليه العقولُ، بدونِ نظيرٍ إلى إثباتٍ جديد.

والمرادُ بصدقِ الخبر مُطابقتُه للواقعِ ونفسِ الأمرِ. والمرادُ بكذبه عدمُ مُطابقته له.

فجملةُ «العلمُ نافعٌ» إنْ كانتْ نِسْبَتُهُ الكلاميَّةَ - وهي ثبوتُ النفع للعلم - المفهومةُ من تلك الجملة مطابقةً للنسبة الخارجية، أي موافقةً لما في الخارج والواقع «فصدقٌ»، وإلا «فكذبٌ». نحو: «الجهلُ نافعٌ»، فنسبته الكلامية ليست مطابقةً وموافقةً للنسبة الخارجية. ^(٢)

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المُخبر، أو خصوص الخبر. وإنما يُنظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله، وذلك لتدخُّل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى، وأخبار رسله. والبديهيَّات المألوفة، نحو: السماء فوقنا. والنظريات المتعيَّن صدقها، ولا تحتملُ شكاً كإثبات العلم والقُدرة للمولى سبحانه وتعالى، ولتدخُّل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتبئين في دعوى النبوة.

(٢) فمطابقةُ النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفيّاً صدق، وعدمُ المطابقة كذب. فالنسبة التي دلَّ عليها الخبر وفُهمَت منه تسمى كلامية. والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية. فحينئذٍ هناك نسبتان: نسبةُ تفهَم من الخبر، ويدلُّ عليها =

المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يُلقى لأحد غرضين:

أ - إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان المخاطب جاهلاً له، ويُسمى هذا النوع (فائدة الخبر)، نحو: «الدينُ المعاملة».

ب - وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضاً بأن المخاطب يعلم الخبر، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان، وعلمت من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع (لازم الفائدة) لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تُستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، أهمها:

١ - الاسترحام والاستعطاف، نحو: إني فقيرٌ إلى عفو ربّي. ^(١)

٢ - وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو:

فليس سواء عالمٌ وجَهِولٌ

٣ - وإظهار الضعف والخشوع، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ^(٢).

٤ - وإظهار التحسر على شيء محبوب، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا

أُنْقَى﴾ ^(٣).

٥ - وإظهار الفرح بمُقبل، والشماتة بمُدير، نحو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

الْبَاطِلُ﴾ ^(٤).

= الكلام، وتسمى النسبة الكلامية. ونسبة أخرى تُعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر، وتسمى النسبة الخارجية. فما وافق الواقع فهو صدق، وما خالف الواقع فهو كذب.

(١) فليس الغرض هنا إفادة الحكم، ولا لازم الفائدة، لأن الله تعالى عليم، ولكنه طلب عفو ربّه. ولهذا ترى في الكلام العربي أخباراً كثيرة لا يُقصد بها إفادة المخاطب الحكم، ولا أن المتكلم عالم به، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلي السلف ذكره إلى أغراض أخرى.

(٢) سورة مريم، الآية ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٧.

- ٦ - والتوبيخُ كقولك للعائر: الشمسُ طالعة!
 - ٧ - والتذكيرُ بما بينَ المراتبِ من التفاوت، نحو: لا يستوي كسلانٌ ونشيط.
 - ٨ - والتحذيرُ، نحو: أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاقُ.
 - ٩ - والفخرُ، نحو: إنّ اللهَ اصطفاني من قريشٍ.
 - ١٠ - والمدحُ، كقوله:
- فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كوكبٌ
وقد يجيءُ لأغراضٍ أخرى، والمرجعُ في معرفة ذلك إلى الذوقِ والعقلِ السليم.

تمرين

- عينُ الأغراضِ المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية:
- قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).
 - وقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى (٣) أَوْ يَذْكَرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفَى (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾ (١).
 - وقال ﷺ: «عَذَلُ سَاعَةٍ فِي حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سِتِينَ سَنَةً».
 - وقال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ فِي عَذَلِهِ».
 - ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام بمكة حينَ دعا قومَه إلى الإسلام: «إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ، وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ مَا غَرَزْتُكُمْ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ حَقّاً، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً».

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٤ .

(٢) سورة عبس، الآيات من ١ إلى ١٠ .

- وقال الشريف الرضي:

جَارَ الزَّمَانُ فَلَا جَوَادَ يُرْتَجَى
وَإِذَا الْحَلِيمُ رَمَى بِسَرِّ صَدِيقِهِ

- وقال المعري:

عَرَفْتُ سَجَايَا الذَّهْرِ، أَمَّا شُرُورُهُ

- وقال:

رَأَيْتُ سُكُوتِي مَشْجَرًا فَلَزِمْتُهُ

- وقال أيضاً:

أَرَى وَلَدَ الْفَتَى عِبْنًا عَلَيْهِ
فَإِمَّا أَنْ يَرِبِّيَهُ عَدُوًّا

- قال ابن حيوس مادحاً:

بَنِي صَالِحٍ أَقْصَدْتُمْ^(٢) مَنْ رَمَيْتُمْ
وَذَلَّلْتُمْ صَغَبَ الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ
مَنَاقِبُ لَوْ أَنَّ اللَّيَالِي تَوَشَّحَتْ

- وقال أبو فراس:

صَبَرْتُ عَلَى اللَّأَوَاءِ^(٤) صَبَرَ ابْنِ حُرَّةٍ
مَنْعَتْ جَمِي قَوْمِي وَسُدَّتْ عَشِيرَتِي

المبحث الثاني

في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كَانَ الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار، يجب أن يكون

(١) مباشرة، بسرعة فائقة.

(٢) أي: رميت رمية أصابت هدفها.

(٣) يؤكد: الجهد.

(٤) المصيبة، المحنة.

المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، يُشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها.

فحقُّ الكلام: أن يكونَ بقدرِ الحاجة، لا زائداً عنها، لئلا يكونَ عبثاً، ولا ناقصاً عنها، لئلا يُخلَّ بالغرض، وهو (الإفصاح والبيان)^(١).

لهذا، تختلفُ صورُ الخبر في أساليب اللغة باختلافِ أحوالِ المخاطب الذي يعتريه ثلاثُ أحوال:

أولاً - أن يكونَ المخاطبُ خاليَ الذهن من الخبر، غيرَ متردِّد فيه، ولا منكرٍ له. وفي هذه الحال لا يؤكِّدُ له الكلامُ لعدم الحاجة إلى التوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢).

ويسمى هذا الضربُ من الخبر (ابتدائياً). ويُستعملُ هذا الضربُ حينَ يكونُ المخاطبُ خاليَ الذهن من مدلولِ الخبر، فيتمكنُ فيه لمصادفتهِ إيَّاهُ خالياً.^(٣)

ثانياً- أن يكونَ المخاطبُ مُتردِّداً في الخبر، طالباً الوصولَ لمعرفته، والوقوفَ على حقيقته فيُستحسنُ تأكيدُ^(٤) الكلام المُلقى إليه تقويةً للحكم، يَتمكَّنُ من نفسه، ويَطرحُ الخلافَ وراءَ ظهره، نحو: إِنَّ الأَمِيرَ مُنتَصِرٌ.

ويسمى هذا الضربُ من الخبر طليئاً، ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حينَ يكونُ المخاطبُ شاككاً في مدلولِ الخبر، طالباً التثبُّت من صدقه.

(١) كتب معاوية إلى أحدِ عُمَّاله، فقال: «لا ينبغي لنا أن نسوسَ الناسَ سياسةً واحدة، لا نلینُ جميعاً، فيمرحَ الناسَ في المعصية، ولا نشدَّ جميعاً، فنحملَ الناسَ على المهالك، ولكن تكون أنتَ للشدة والغلظة، وأكونُ أنا للراقة والرحمة».

وكتب أبو العباس السفاح فقال: «لأعملنَّ اللینَ حتى لا ينفعَ إلا الشدة، ولأكرمنَّ الخاصة ما أمئتهم على العامة، ولأغمدنَّ السیفَ حتى يسألَ الحقُّ، ولأعطینَ حتى لا أرى للعطية موضعاً».

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٦.

(٣) عرفتُ هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

(٤) المرادُ بالتأكيد في هذا الباب تأكيدُ الحكم، لا تأكيدُ المسند إليه ولا تأكيدُ المسند. واعلم أن الخطابَ بالجملة الاسمية وحدها أكد من الخطاب بالجملة الفعلية. فإذا أريدَ مجردُ الإخبارِ أتني بالفعلية. وأما إن أريدَ التأكيدُ فبالاسمية وحدها، أو بها مع إن، أو بهما وباللام، أو بالثلاثة والقسم. واعلم أن لأم الابتداء هي الداخلة على المبتدأ، واللاحقة للخبر. كما أن السينَ وسوفَ لا تفيدان التوكيدَ إلا إذا كانت للوعدِ أو الوعيد.

ثالثاً - أن يكونَ المخاطَبُ مُنْكَرًا للخبر الذي يُرادُ إلْقَاؤُهُ إليه، مُعْتَقِداً خلافَهُ. فيجِبُ تأكيدُ الكلامِ له بمؤكِّد، أو مؤكِّدين، أو أكثرَ، على حسبِ حاله من الإنكار، قوَّةً وضعفًا.

نحو: إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ، أو إنه لقادمٌ، أو واللَّهِ إنه لقادمٌ.

أو: لعمرى إِنَّ الحقَّ يَعْلُو ولا يُعْلَى عليه.

ويُسَمَّى هذا الضربُ من الخبر (إنكارياً) ويؤتى بالخبرِ من هذا الضربِ حين يكون المخاطَبُ مُنْكَرًا.

واعلم أَنَّهُ كما يكونُ التأكيدُ في الإثبات، يكونُ في التفي أيضاً. نحو: ما المُقْتَصِدُ بمُفْتَقِر، ونحو: واللَّهِ ما المستَشِيرُ بِنَادِم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبرِ أدواتٌ كثيرة، وأشهرها: إِنَّ، وَأَنَّ، ولَا مُّ الْابتداء، وأحرفُ التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحرُوفُ الزائدة (كفَعْلٌ واستفعل)، والتكرارُ، وقد، وأما الشرطية، وإِنَّمَا، واسمِيَةُ الجملة، وضميرُ الفصل، وتقديمُ الفاعلِ المعنوي.

الثاني: يُسَمَّى إخراجُ الكلامِ على الأضْرَبِ الثلاثةِ السابقة إخراجاً على مُقْتَضَى ظاهرِ الحال.^(١)

وقد تقتضي الأحوالُ العُدُولَ عن مُقْتَضَى الظاهرِ ويُورَدُ الكلامُ على خلافه لاعتباراتٍ يلحظُها المتكَلِّم، وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة.

١ - منها تنزيلُ العالمِ بفائدةِ الخبر، أو لازِمِها، أو بهما معاً منزلةً الجاهلِ بذلك، لعدمِ جَرِيهِ على مُوجبِ علمه. فيُلْقَى إليه الخبرُ كما يُلْقَى إلى

(١) اعلم أَن الحال: هو الأمرُ الداعي إلى إيرادِ الكلامِ مكيفاً بكيفيةٍ ما، سواءً أكان ذلك الأمرُ الداعي ثابتاً في الواقع، أم كان ثبوته بالنظرِ لِمَا عِنْدَ المتكَلِّم، كتنزيلِ المخاطَبِ غيرِ السائلِ منزلةً السائلِ.

وظاهرُ الحال: هو الأمرُ الداعي إلى إيرادِ الكلامِ مكيفاً بكيفيةٍ مخصوصةٍ بشرط أن يكونَ ذلك الأمرُ الداعي ثابتاً في الواقع، فكلُّ كيفيةٍ اقتضاها ظاهرُ الحالِ اقتضاها الحال، وليس كلُّ كيفيةٍ اقتضاها الحالِ اقتضاها ظاهرُهُ.

الجاهل به، كقولك لِمَنْ يَعْلَمُ وجوب الصلاة، وهو لا يُصَلِّي: «الصلاة واجبة» توبيخاً له على عدم عمله بمقتضى علمه. وكقولك لمن يُؤذي أباه: هذا أبوك!

٢ - ومنها تنزيلُ خالي الذَّهن منزلةَ السائل المتردد، إذا تقدّم في الكلام ما يُشيرُ إلى حكم الخبر كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١). فمدخولٌ إنَّ مُؤكِّدٌ لمضمونٍ ما تقدّمه، لإشعاره بالتردد فيما تضمّنه مدخولها. وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾^(٢).

لَمَّا أمر المولى نوحاً أولاً بصنع الفلّك، ونهاه ثانياً عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد.^(٣) هل حكّم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾.

٣ - ومنها تنزيلُ غير المنكر منزلةَ المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نُضْلَةَ القيمي، من أولاد عمّ شقيق: جاء شقيق عارضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ فـ «شقيق» رجلٌ لا يُنكرُ رِمَاحَ بني عمّه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعاً رُمَحَهُ على فخذه بالعرض وهو راكبٌ أو حاملاً

(١) سورة يوسف، الآية ٥٣ .

(٢) سورة هود، الآية ٣٧ .

(٣) أي فصارَ الكلامُ مظنةً للتردد والطلب وإن لم يتردد المخاطب، ولم يطلب بالفعل، وذلك أنه تكادُ نفسُ الذكي إذا قدّم لها ما يشيرُ إلى جنس الخبر أن تترددَ في شخص الخبر، وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا في فردٍ من أفرادهِ، فيكونُ ناظراً إليه بخصوصه كأنه مترددٌ فيه كنظر السائل. فقوله: ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي﴾ يشيرُ إلى جنس الخبر وأنه عذاب. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ يشيرُ إلى خصوصِ الخبر الذي أُشيرُ إليه ضمناً في قوله: ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي﴾، وكقول الشاعر:

تَرَفَّقْتُ إِلَيْهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَلِإِنَّ الرَّفَقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
فالأصلُ أن يوردَ الخبرَ هنا خالياً من التوكيد، لأنَّ المخاطبَ خالي الذهن من الحكم. ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبحَ المخاطبُ متشوقاً لمعرفة، فنزل منزلةَ السائل المتردد الطالب، واستحسنَ إلقاءَ الكلام إليه مؤكداً جرياً على خلافِ مقتضى الظاهر.

له عَرَضاً على كتفه في جهة العدو بدون اكتراثه به، بمنزلة إنكاره أن لبني عمه رماحاً، ولن يجد منهم مقاومة له كأنهم كلهم في نظره غزل، ليس مع أحد منهم رُمح.

فأكَّد له الكلام استهزاء به، وخُوطبَ خطاب التفاتٍ بعد غيبة تهكُّمًا به، ورَمياً له بالتَّزَقُّ وخُزْقِ الرأي.

٤ - ومنها تنزيلُ المتردَّد^(١) منزلة الخالي، كقولك للمتردَّد في قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير.

٥ - ومنها تنزيلُ المتردَّد منزلة المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إنَّ الفرجَ قريبٌ.

٦ - ومنها تنزيلُ المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لازتدعَ وزال إنكاره، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾^(٢). وكقولك لمن يُنكرُ منفعة الطب: الطبُّ نافعٌ.

٧ - ومنها تنزيل المنكر منزلة المتردَّد، كقولك لمن يُنكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفاً: «إنَّ الجاهَ بالمالِ، إنَّما يَصحبُك ما صَحَبَكَ المالُ، وأما الجاهُ بالأدبِ فإنَّه غيرُ زائلٍ عنك».

الثالث: قد يؤكَّد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردُّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: (إنَّ أفضلَ ما نطقَ به اللسانُ كذا)^(٣).

(١) وفائدة التنزيل وجوبُ زيادة التأكيد قوةً وضعفاً، لأنَّه نَزَلَ المتردَّد منزلة المنكر، فيعطى حكمه حينئذٍ. وهكذا تفهَّم في عكسه وهو تنزيلُ المنكر منزلة المتردَّد في استحسانِ التوكيد له. واعلم أنَّه إذا التبسَ إخراجُ الكلام على خلافِ مقتضى الظاهرِ بإخراجه على مقتضى الظاهرِ يحتاجُ إلى قرينةٍ تعيِّن المقصودَ أو ترجِّحه، فإنَّ لم توجدْ قرينةٌ صحَّ حملُ الكلام على كلِّ من الأمرين، وذلك كجعلِ السائل كالخالي، وجعلِ المتردَّد كالمنكر. فإن وجدتْ قرينةٌ عملَ بها، والأصحُّ الحكمُ بأحدهما.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٣) من مزايا اللغة العربية دقَّة التصرف في التعبير، واختلافُ الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض. فمن العيبِ الفاضح عند ذوي المعرفة بها الإطنابُ إذا لم تكن هناك حاجةٌ إليه، والإيجازُ والاختصارُ حيث تُطلَبُ الزيادة. وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بل العامة؟ فقد أشكل أمرها على بعض ذوي الفطنة من نابتة القرن الثالث، إبانَ زهو اللغة =

يُبين أغراضَ الخبر والمقاصد منه فيما يأتي:

- قَوْمِي هُمُو قَتَلُوا أُمَيِّمَ أَخِي
- قَد كُنْتُ عُدَّتِي الَّتِي أَسْطَوْ بِهَا
- أَبَا الْمَحْكَ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعَدَى
- كَفَى بَجْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ
- وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضِعًا
- ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
- إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
- أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا
- ظَمِئْتُ وَفِي فَمِي الْأَدَبُ الْمَصْفَى
- فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي^(١)
- وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعَدِي^(٢)
- وَأَمَلُ عَزَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْدَمِ^(٣)
- لَوْلَا مَخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي^(٤)
- وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ^(٥)
- وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ^(٦)
- فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ؟
- فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي، فَمَنْ ذَا يَرْحُمُ؟
- وَضِغْتُ وَفِي يَدِي الْكَنْزُ الثَّمِينُ

نموذج في بيان مقاصد وأغراض الأخبار^(٧)

- كان معاوية حسن السياسة والتدبير، يحلم في مواضع الحلم، ويشدد في مواضع الشدة^(٨).

= ونُصرة شبابها، يُرشدك إلى ذلك ما رواه الثقات من أن المتفلسف الكندي ركب إلى أبي العباس المبرد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً. فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم. فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال السائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه. فقد تكرر الألفاظ لتكرر المعاني. فما أحار المتفلسف جواباً. ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا أزيد، وإلا كان عبثاً، ولا أنقص وإلا أخل بالغرض، وهو الإفصاح والبيان.

- (١) إظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته.
- (٢) إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.
- (٣) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.
- (٤) إظهار الضعف بأن نحوله صيره إلى ما وصف.
- (٥) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله. فالغرض لازم الفائدة.
- (٦) التحسر لفقد ذوي المروءة والمصير إلى لثام لا خير فيهم.
- (٧) الصواب أن يقول: مقاصد الأخبار وأغراضها.
- (٨) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

- لقد أدبَتَ بَنِيكَ بِاللَّيْنِ والرفق، لا بالقسوة والعقاب. ^(١)
- ولَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى أَجَابَ الْأَسَى طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ فَإِنْ يَنْقُطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ - تُوفِّيَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ^(٢).
- وقال أبو فراس الحمداني:
- وَمَكَارِمِي عَدَدُ التَّجُومِ وَمَنْزِلِي مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَنْزَلُ الْأَضْيَافِ ^(٣)
- وقال أبو الطيب:
- وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ ^(٤)
- وقال أيضاً يَرِثِي أَخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:
- غَدَزْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ بِمَنْ أَصْبَنْتَ وَكَمْ أَسَكَّتَ مِنْ لَجَبٍ ^(٥)
- وقال أبو العتاهية يَرِثِي وَلَدَهُ عَلِيّاً:
- بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً ^(٦)
- إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغْتُهَا قَدْ أَحْوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ ^(٧)
- قال أبو العلاء المعري:
- وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهُ ^(٨) مَنْزِلِي عَلَى أَنْنِي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلٌ ^(٩)
- قال إبراهيم بن المهدي يُخَاطَبُ الْمَأْمُونُ:

- (١) إفادة المخاطب أنَّ المتكلم عالمٌ في حاله في تهذيب بنيه.
- (٢) إفادة المخاطب الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَهُ الكلام.
- (٣) إظهارُ الفخر، فإنَّ أبا فراس إنما يريدُ أن يفاخرَ بمكارمه وشمائله.
- (٤) إفادة المخاطب الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَهُ الكلام، فإنَّ أبا الطَّيِّبِ يريدُ أن يبيِّنَ لسامعيه ما يراه في بعض النَّاسِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ.
- (٥) الغرضُ إظهارُ الأسَى والحزن.
- (٦) إظهارُ الحزن والتَّحَسُّرِ عَلَى فَقْدِ وَلَدِهِ.
- (٧) إظهارُ الضَّعْفِ والعجز.
- (٨) الكنه: الأصل.
- (٩) الغرض الافتخار بالعقل واللسان.

أَتَيْتُ جُرْمًا شَنِيعًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَذْلٌ^(١)

تطبيق (١)

أحصى المؤكدات في العبارات التالية، وبين ضروب الخبر الثلاثة:

١- ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلٌ عَفَاً وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائلٌ

٢- وإن امرأً قد سار خمسين حجة إلى مَنَهَلٍ من ورده لقريبٌ

٣- ليس الصديق بمن يُعِيرُكَ ظاهراً مُتَبَسِّمًا عن باطنٍ مُتَجَهِّمٍ

٤- قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَجِئْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا

النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٣).

٦- أما الفراق فإنه ما أعهدُ هو تَوْءَمِي، لو أَنَّ بَيْنَا يُولَدُ

٧- وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمُخْتَلَفٌ جدًا

٨- ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(٤).

(١) الغرض الاسترحام والاستعطاف.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٢.

(٣) سورة النبا، الآيات من ٩ إلى ١١.

(٤) سورة يس، الآية ١٤.

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١ -	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبي
٢ -	إن - قد - اللام في (لقريب)	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد
٣ -	الباء الزائدة في (بمن)	طلبي
٤ -	لام القسم - لام التوكيد - نون التوكيد	إنكاري
٥ -	تكرار جعلنا	طلبي
٦ -	أما - إن - أن	طلبي لأن كل مؤكد في جملة
٧ -	إن - لام الابتداء	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

- ٩- وإني لصَبَّارٌ على ما يَنْتُوبُنِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ وَأَهْلًا، إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدٍ وَإِنِّي لَتَرَّاكَ لِمَا لَمْ أَعُودُ وَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوَهَّبُ وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ ١٠- وَإِنِّي لَقَوْلٌ لَذِي الْبَثِّ: مَرْحَبًا وَإِنِّي لَحَلَوٌ تَغْتَرِينِي مَرَارَةً ١١- وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ١٢- إِنَّ الْغَنَى مِنَ الرُّجَالِ مَكْرَمٌ ١٣- فَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ

تصريح

اذكر أضرب الخبر وأدوات التوكيد:

- قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ لَحَقُّ مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾^(١).

= الرسل: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ فألقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين، فكذبوا فقالوا لهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ مؤكداً لهم القول بمؤكد ثالث، فجحدوا، فقالوا لهم: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٩ -	وإني لصبار	إن ولام الابتداء	إنكاري
١٠ -	وإني لقوال	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لحلو	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لتراك	إن ولام الابتداء	إنكاري
١١ -	ولقد نصحتك	القسم وقد	إنكاري
	والنصح أغلى	الجملة الاسمية	ابتدائي
١٢ -	إن الغني	إن، والجملة الاسمية	طلبي
	وتراه يرجى		ابتدائي
١٣ -	فما الحداثه إلخ	الباء الزائدة «بمانعة»	طلبي
	قد يوجد الحلم	قد	طلبي

- وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (١).

- وقال ﷺ: «شرُّ الناس الذين يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ أَلْسِنَتِهِمْ».

- وقال عليّ كرم الله وجهه: «مارسْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَعَلَبْتُهُ، ومارسني الفقرُ فغَلَبَنِي، إِنْ سَتَرْتُهُ أَهْلَكَنِي، وَإِنْ أَذَعْتُهُ فَضَحَنِي».

- وقال النبي عليه الصلاة والسلام يصفُ الأنصار: «إِنَّكُمْ لَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ، وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ».

- وقال بشارُ بن بُرْد:

خليليّ إِنْ المَالِ ليس بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلُ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
- وقال أبو العتاهية:

قَدْ يُذْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بَرَقْدَتِهِ وَقَدْ يَخِيبُ أَخُو الرُّوحَاتِ وَالذَّلَاجِ
- وقال:

إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غَنَى لَتُرى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ
مَا فَاتَنِي خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ عَنِّي يَدَاهُ مَثُوبَةُ الشُّكْرِ
- وقال آخر:

وَمَا لُبُّ اللَّبِيبِ بِغَيْرِ حِظٍّ بِأَغْنَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ قَتِيلٍ
- وقال آخر:

وَلَلْجِلْمُ خَيْرٌ، فَاعْلَمَنَّ، مَغَبَّةٌ مَنْ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمٍ
- وقال حسان بن ثابت:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنُسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَكْسِبُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالٍ
- وقال الشاعر:

وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ، وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

- وقال صُرَّدَرَّ:

تَذِلُّ الرِّجَالُ لِأَطْمَاعِهَا كَذُلُّ الْعَبِيدِ لِأَرْبَابِهَا
وَأَعْلَمُ أَنَّ ثِيَابَ الْعَفَا فِي أَجْمَلِ زِيٍّ لِمُجْتَابِهَا^(١)

- وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا

- وقال سعيد بن حميد في العتاب:

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْمَنِيَةِ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَضْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ
فَلْتُنْ سَبَقْتُ لَتَبَكِينٍ بِحَسْرَةٍ وَلَيَكْثُرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَلْتُنْ سَبَقْتُ، وَلَا سَبَقْتُ، لِيَمْضِينَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَيَّ خَلِيلُ
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مَرْوَةٍ وَلَيُفْقَدَنَّ جَمَالُهَا الْمَاهُولُ
١ - إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ نَخْلَعُهُ وَكُلُّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رَثَ يَنْخَلَعُ

٢ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾^(٢).

تطبيق

اذكر أضرب الخبر، وبين المؤكدات فيما يأتي:

١ - وعادَ في طلبِ المتروكِ تاركُهُ إِنَّا لَنَغْفِلُ، والأَيامُ في الطَّلَبِ

٢ - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(١) وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾^(٢).

(١) لابسها.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٥.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١ -	إن الحياة لثوب	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وكل ثوب إلخ		ابتدائي
٢ -	غفلتهم عن الموت تعدُّ من أمارات الإنكار		إنكاري

(٣) سورة النبأ، الآيات من ٩ إلى ١١.

- ٣ - أما دون مصر للغنى مُتَطَلَّبُ بلى، إنَّ أسبابَ الغنى لكثيرُ
٤ - فيومَ علينا ويومَ لنا ويومَ نساءَ ويومَ نَسَرَ
٥ - «إنَّ من البيان لحرأ وإنَّ من الشعرِ لحكمةٌ».
٦ - قد يُدركُ الشرفَ الفتى وردأؤه خَلَقَ.

المبحث الثالث

في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ - الجملة الفعلية: ما تركبت من فعلٍ وفاعل، أو من فعلٍ ونائب فاعل، وهي موضوعَةٌ لإفادَةِ التَّجَدُّدِ والْحُدُوثِ في زمنٍ معيَّنٍ مع الاختصار^(١) نحو: يعيشُ البخيلُ عيشةَ الفقراء، ويُحاسبُ في الآخرة حسابَ الأغنياء. ونحو: أشرقَتِ الشمسُ وقد ولى الظلامُ هارباً فلا يُستفادُ من ذلك إلا ثبوتُ الإشراقِ للشمس، وذهابُ الظلام في الزَّمان الماضي.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١ -	وعاد في طلب المتروك		ابتدائي
	إنا لنغفل	إنَّ ولام الابتداء	إنكاري
٢ -	وجعلنا نومكم إلخ	تكرير جعل	طلبي
٣ -	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبي
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	إنكاري
٤ -	يوم علينا ويوم لنا	التكرير	طلبي
٥ -	إن من البيان لحرأ	إن ولام الابتداء	إنكاري
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	إنكاري
٦ -	قد يدرك	قد	طلبي

(١) وذلك أنَّ الفعلَ دالٌّ بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياجٍ لقريضةٍ بخلاف الاسم، فإنه يدلُّ على الزمن بقريضة ذكر لفظة: الآن، أو أمس، أو غداً. ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قارٍ بالذات، أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعلُ مع إفادته التقييدَ بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد أيضاً.

وقد تفيّد الجملة الفعلية الاستمرارَ التجديدي شيئاً فشيئاً بحسبِ المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسبِ الوُضْع^(١)، بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعاً. نحو قول المتنبي:

تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ وليس لها يوماً عن المجدِ شاغلُ
فقرينة المدح تدلُّ على أنَّ تدبيرَ الممالكِ ديدنه، وشأنه المستمرُّ الذي لا يَحِيدُ عنه، ويتجدَّدُ أَنَا فَنَآ.

ب - والجملة الاسمية: هي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيّد بأصل وضعها ثبوتَ شيءٍ لشيءٍ^(٢) ليس غيرُ، بدونِ نظيرٍ إلى تجددٍ ولا استمرار، نحو: الأرضُ متحرّكة. فلا يُستفادُ منها سوى ثبوتِ الحركة للأرضِ، بدونِ نظيرٍ إلى تجددٍ ذلك ولا حُدُوثه.

وقد تخرجُ الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتُفيّد الدوامَ والاستمرارَ بحسبِ القرائن: إذا لم يكن في خبرها فعلٌ مضارع، وذلك بأن يكونَ الحديثُ في مقام المدح، أو في معرضِ الذم، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَکَلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣). فسياقُ الكلام في معرضِ المدح دالٌّ على إرادة الاستمرارِ مع الثبوتِ. ومنه قولُ النضر بن جُوْبة يتمدح بالغنى والكرم:

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ ضَرْرَتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهوَ مَنْطَلِقُ
يُرِيدُ أَنْ دِرَاهِمَهُ لَا ثَبَاتَ لَهَا فِي الصُّرَّةِ وَلَا بَقَاءَ، فهي دائماً تنطلقُ منها، وتمرُّ مَرُوقَ السَّهَامِ مِنْ قِسِيَّهَا، لَتُوَزَّعَ عَلَى الْمُعْوزِينَ وَأَرْبَابِ الْحَاجَاتِ.

واعلم أن الجملة الاسمية لا تُفيّد الثبوتَ بأصل وضعها، ولا الاستمرارَ

(١) وذلك نظيرُ الاستمرارِ الثبوتي في الجملة الاسمية نحو: ﴿لَوْ يُطِيعُكَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَخِفْ﴾ [الحجرات: ٧]، أي لو استمرَّ على إطاعتِك وقتاً فوقتاً لحصلَ لكم عنتٌ ومشقة.

(٢) فالجملة الاسمية موضوعة لمجرد ثبوتِ المسندِ إليه.

قال الشيخ عبد القاهر: موضوعُ الاسم على أن يثبت به الشيءُ للشيء من غير اقتضاء أنه يَجْدُدُ ويحدث شيئاً فشيئاً. فلا تعرضُ في نحو: زيدٌ منطلقٌ، لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلاً، كما في: زيدٌ طويلٌ وعمرٌ قصير. أي إنَّ ثبوتَ الطول والقصر هو بأصلِ الوضع، وأما استفادة الدوامِ فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحيثيٌّ فالتَّمثِيلُ لِلْمَنفَى.

(٣) سورة القلم، الآية ٤.

القسم الأول/ الباب الأول، في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء ٦٩

بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفرداً نحو: الوطن عزيز، أو كان خبرها جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتي.

أما إذا كان خبرها فعلاً فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه. ونحو:

تَعِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتِّعَ بِالْمَشِيبِ؟
وكقول الآخر:

نَرْوَحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

أَسْئَلَةُ يُطْلَبُ أَجَوِبُهَا

ما هو علمُ المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضعُ المسندِ والمسندِ إليه؟ ما المرادُ بصدقِ الخبر وكذبه؟ ما الفرقُ بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراضُ الأخرى التي يُلقى إليها الخبر؟ ما هي أضربُ الخبر؟ ما هي أداوتُ التوكيد؟ لماذا يُعدّلُ عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأي شيء وُضعتِ الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تفيّد الجملة الفعلية والاسمية غيرَ ما وُضعتا لأجله؟

تدريب

بيّن فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

١ - قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

(١) سورة الرعد، الآية ٣٩.

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
١ -	يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجديدي	محو بعض الخلائق وإفناؤها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب: اللوح المحفوظ. والقرينة الإسناد إلى الله

٧٠ القسم الأول/ الباب الأول، في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

- ٢ - نَروُحُ ونَغْدُو لحاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنقُضِي
٣ - وَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقُطُ نَفْسِي حَسْرَاتٍ وَذَكَرُهُمْ لِي سَقَامُ
٤ - يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالُ أَمْ مِنَ
الْحَرَامِ؟
٥ - أَوْكَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظٌ قَبِيلَةً بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ؟^(١)

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
٢ -	نروح ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجديدي	والقرينة قوله: وحاجة من عاش
٣ -	تساقط	مضارعية	الاستمرار التجديدي	
	وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة الحالية وهي الحزن والأسى
٤ -	يأتي	مضارعية	التجدد	

(١) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى، لعله يهتدي إلى معرفتي، ليأخذ بثأرها مني، وتنكل بي لأنني طالما أوقعت بها، وأذقتها صنوف المذلة والهوان.
وعكاظ: سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلاً، ولتصريف المتاجر نهاراً.

الباب الثاني

في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحاً: كلام لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته^(١)، نحو: اغفر، وارحم. فلا يُنسبُ إلى قائله صدق، أو كذب.

وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء: «هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به». فطلب الفعل في «افعل»، وطلب الكف في «لا تفعل»، وطلب المحبوب في «التمني»، وطلب الفهم في «الاستفهام»، وطلب الإقبال في «النداء»، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها. وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب، والرجاء. ويكون برُبٍّ ولعلٍّ، وكم الخبرية.

١ - أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس، وما جرى مجراهما. نحو: حبذا ولا حبذا والأفعال المحوِّلة إلى فعل نحو: طاب عليّ نفساً، وخُبث بكَرٍّ أصلاً.

٢ - وأما العقود فتكون بالماضي كثيراً، نحو: بعث، واشتريت، ووهبت، وأعتقت، وبغيره قليلاً، نحو: أنا بائع، وعبي حرٍّ لوجه الله تعالى.

٣ - وأما القسم: فيكون بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها. نحو: لعمرُك ما فعلت كذا.

٤ - وأما التعجب، فيكون قياساً بصيغتين: ما أفعله، وأفعل به.

(١) أي: بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء، فإن اغفر يستلزم خيراً وهو أنا طالب المغفرة منك. وكذا: لا تكسل، يستلزم خيراً. وهو أنا طالب عدم كسلك، لكن كل هذا ليس لذاته.

وسماعاً بغيرهما، نحو: لله دَرُّه عالماً!، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(١).

٥ - وأما الرجاء، فيكون: بعسى، وحرى، واخْلَوْلَقَ. نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

واعلم أن الإنشاء غيرَ الطلبي لا تبحث عنه علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نُقِلَتْ إلى الإنشاء. وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو «الإنشاء الطلبي» لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

فالإنشاء الطلبي هو الذي يستدعي مطلوباً^(٢) غيرَ حاصلٍ^(٣) في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء^(٤).

وفي هذا الباب خمسة مباحث:

المبحث الأول في الأمر

الأمر: هو طلبُ حصولِ الفعل من المخاطَبِ على وجه الاستعلاء^(٥) مع الإلزام، وله أربع صيغ:

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٢) اعلم أنه إذا كان المطلوب غيرَ متوقع كان الطلب تمنياً. وإن كان متوقعاً فإما حصولُ صورة أمرٍ في الذهن فهو الاستفهام، وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاءً فعل فهو النهي، وإن كان ثبوته فإما بأحدِ حروفِ النداء فهو النداء، وإما بغيرها فهو الأمر. وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصرٌ في هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثيرٍ من اللطائف البلاغية.

(٣) أي لأنه لا يليقُ طلبُ الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصلٍ امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية. ويتولد من تلك الصيغ ما يُناسبُ المقام، كطلبِ دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وهلم جرا.

(٤) ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً بالعرض والتحضيض، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني، فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا». والثاني من هل ولو للتمني مع لا وما الزائدتين في «هلا وألا» بقلبِ الهاء همزة. وكذا لولا ولما. واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان، الأول ما يدلُّ على معنى الطلب بلفظه، ويكون بالخمسة المذكورة. والثاني ما يدلُّ على الطلب بغير لفظه كالنداء.

(٥) بأن يُعَدَّ الأمر نفسه عالياً لمن هو أقلُّ منه شأنًا، سواءً أكان عالياً في الواقع أم لا. ولهذا =

- ١ - فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿يَخَيَّ خُذِ الْكِتَابَ يَقُوءُ﴾^(١).
- ٢ - والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢).
- ٣ - واسم فعل الأمر، نحو: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٣).
- ٤ - والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سَعياً في سبيل الخير.
وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي، وهو «الإيجاب والإلزام»، إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.
- ١ - كالدعاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾^(٤).
- ٢ - والالتماس كقولك لمن يُساويك: أعطني القلم أيها الأخ.
- ٣ - والإرشاد كقوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(٥).
- ٤ - والتهديد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٦).
- ٥ - والتعجيز، كقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ﴾^(٧).

= نُسَبَ إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً. واشترط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من المائريديّة، والإمام الرازي، والآمدي من الأشعرية، وأبو الحسن من المعتزلة. وذهب الأشعري إلى أنه يُشترط هذا. وبه قال كثير من الشافعية. والأشبه أن الصدور من المستعلي يفيد إيجاباً في الأمر، وتحريماً في النهي.
واعلم أن الأمر للطلب مطلقاً، والفور والتراخي من القرائن. ولا يوجب الاستمرار والتكرار في الأصح. وقيل: ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة، وهو ما اختاره السكاكي.
واعلم أيضاً أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

- (١) سورة مريم، الآية ١٢.
- (٢) سورة الطلاق، الآية ٧.
- (٣) سورة المائدة، الآية ١٠٥.
- (٤) سورة النمل، الآية ١٩.
- (٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.
- (٦) سورة فصلت، الآية ٤٠.
- (٧) سورة البقرة، الآية ٢٣.

٦ - والإباحة كقوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(١).

ونحو: اجلس كما تشاء.

٧ - والتسوية، نحو قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(٢).

٨ - والإكرام، كقوله تعالى : ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾^(٣).

٩ - والامتنان، كقوله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(٤).

١٠ - والإهانة، كقوله تعالى : ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾^(٥).

١١ - والدوام، كقوله تعالى : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦).

١٢ - والتمني، كقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بضبح وما الإصباح منك بأمثل

١٣ - والاعتبار، كقوله تعالى : ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ذِكْرِ آلِ لُوطٍ إِذْ أَنَا أَنَا﴾^(٧).

١٤ - والإذن، كقولك لمن طرق الباب «ادخل».

١٥ - والتكوين، كقوله تعالى : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨).

١٦ - والتخيير، نحو: تزوج هنداً أو أختها.

١٧ - والتأديب، نحو: كل مما يليك.

١٨ - والتعجب، كقوله تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾^(٩).

تصريح

يُنَّ ما يُراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية :

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الطور، الآية ١٦ .

(٣) سورة الحجر، الآية ٤٦ .

(٤) سورة النحل، الآية ١١٤ .

(٥) سورة الإسراء، الآية ٥٠ .

(٦) سورة الفاتحة، الآية ٦ .

(٧) سورة الأنعام، الآية ٩٩ .

(٨) سورة مريم، الآية ٣٥ .

(٩) سورة الإسراء، الآية ٤٨ .

- فصبراً في مجال الموتِ صَبْرًا فما نِيلُ الخلودِ بِمُسْطَاطِعِ
- فغُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كَغَباً بَلَّغْتَ ولا كِلَاباً
- فيا موتُ زُرْ إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ويا نفسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ

تطبيق

- ١ - قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩).
٢ - أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي، لَا مَلُومَةٌ لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ
٣ - يَا لَيْلُ طُلْ يَا نَوْمُ زُلْ يَا صُبْحُ قِفْ لَا تَطْلُعِ
٤ - عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
٥ - قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢).
٦ - تَرْفُقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
٧ - أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا فَعَانِذْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا
٨ - خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا رَقَدْتُمَا أَجِدْ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا
٩ - أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلاً لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مُخْلَدَا
١٠ - وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣).
١١ - قد رَشَحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارَبِّاً بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمَلِ

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الملك، الآية ١٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١١١ .

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١ -	خذ العفو	الإرشاد	٤ -	عش سالماً	الدعاء
٢ -	أسيئي بنا	التسوية	٥ -	أسرؤا قولكم	التسوية
٣ -	طل - زل	التمني	٦ -	ترفق	الدعاء
٧ -	عاند	الإهانة	٩ -	أريني جواداً	التعجيز
٨ -	هُبَا	الالتماس	١٠ -	هاتوا برهانكم	التعجيز
١١ -	فارباً بنفسك	الإرشاد			

١٢ - قال تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) (١).

١٣ - «ليس هذا بعشك فاذرُجي».

١٤ - «اعملْ لدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، واعملْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا».

١٥- فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْخُلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَجُذْ كَفَانِي نَدَاكُم عَنْ جَمِيعِ الْمَطَالِبِ

يَا رَبُّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا

١٦- أَوْلَيْكَ أَبَائِي فَجَنِّني بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

أُرُونِي بِخِيَلٍ طَالَ عُمُرًا بِبَخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثَرَةِ الْبَذْلِ

وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ

نموذج

يَبِّينُ نَوْعَ الْإِنْشَاءِ وَصِيغَتَهُ فِي الْأَمْثَلَةِ التَّالِيَةِ:

١- يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْمَتِهِ وَمِنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ

ارْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دِيدُنُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

٢- يَابَسْتِي إِنْ أُرِدْتَ آيَةً حُسْنٍ وَجَمَالًا يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلًا

فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى

يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرَدًّا وَلَكِنْ وَرْدَةُ الرُّوضِ لَا تُضَارِعُ شَكْلًا

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١٢ -	اشرح لي صدري	الدعاء	١٣ -	ادرجي	الإهانة
١٤ -	اعمل لدنياك	الإرشاد	١٥ -	فليخل	التخير
١٦ -	جنني	التعجيز			

(١) سورة طه، الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١ -	يا أيها المتحلي غير شيمته إلخ	طلبي	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبي	الأمر
٢ -	يابستي إن أردت آية حسن	طلبي	النداء
	فانبذي عادة التبرج	طلبي	الأمر

- ٣ - يا ليتَ مَنْ يمنعُ المعروفَ يمنعه حتى يذوقَ رجالٌ غِبَّ ما صنعوا
٤ - لعمرك ما بالعقلِ يُكتَسَبُ الغنى ولا باكتسابِ المالِ يُكتَسَبُ العقلُ

أسئلة على الإنشاء يطلب أجوبتها

ما هو الإنشاء لغة واصطلاحاً؟ إلى كم ينقسم الإنشاء؟ ما هو الإنشاء غير الطلبي؟ كم أقسام الإنشاء الطلبي؟ ما هو الأمر؟ كم صيغة للأمر؟ ما هي المعاني التي تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها؟

المبحث الثاني

في النهي

النهي: هو طلبُ الكفِّ عن الشيء على وجه الاستعلاء^(١) مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارعُ المقرون بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢)، ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَئِضُكُم بَئِضًا﴾^(٣).

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخرى، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

- ١ - كالدعاء، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٤).

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
٣ -	يا ليت من يمنع المعروف	طلبى	التمنى
٤ -	لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبى	القسم

(١) اعلم أن النهي طلب الكف عن الشيء ممن هو أقل شأنًا من المتكلم. وهو حقيقة في التحريم، كما عليه الجمهور. فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور. واعلم أن النهي كالأمر، فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٦ .

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

- ٢ - والالتماس، كقولك لمن يُساويك: أيها الأخ لا تتوان.
- ٣ - والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(١).
- ٤ - والدوام، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلَلَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).
- ٥ - وبيان العاقبة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾^(٣).
- ٦ - والتمنيس، نحو: قوله تعالى: ﴿لَا تَمْنَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا إِيْمَنَنْتُمْ بِهِ﴾^(٤).
- ٧ - والتمني، نحو: يا ليلة الأنس لا تنقضي.
وكقوله:
يا ليل طل يا نوم زل يا ضبح قف لا تطلع
- ٨ - والتهديد، كقولك لخادمك: لا تطع أمري!
- ٩ - والكرهية، نحو: لا تلتفت وأنت في الصلاة.
- ١٠ - والتوبيخ، نحو: لا تنه عن خلق وتأتي مثله.
- ١١ - والالتئاس، نحو: قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٥).
- ١٢ - والتحقير، كقوله:
لا تطلب المجد إن المجد سلمه صعب، وعش مستريحاً ناعم البالي
وكقوله:
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

تطبيق

اذكر ما يُراد من صيغ النهي الآتية:

- (١) سورة المائدة، الآية ١٠١ .
- (٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٢ .
- (٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ .
- (٤) سورة التوبة، الآية، ٦٦ .
- (٥) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

- ١ - ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا آلَٰحِقَ الْبَاطِلِ وَتَكُونُوا لَآحِقَ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).
- ٢ - فلا تُلزمنَ الناسَ غيرَ طباعهم فتتعبَ من طولِ العتابِ ويتعبوا ولا تغتررَ منهم بحُسنِ بشاشةِ فأكثرُ إيماضٍ^(٢) البوارقِ خُلْبٍ^(٣)
- ٣ - فلا تَهْجِ إن كنتَ ذا إزبةِ حَزَبٍ أخِي التجربةِ العاقلِ
- ٤ - ﴿لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ﴾^(٤).
- ٥ - لا تحسبِ المجدَّ ثَمراً أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَّ حتى تلعقَ الصِّبرا
- ٦ - لا تحتجبَ عن العيونِ أيُّها القمرُ.
- ٧ - لا تُعْرِضَنَّ لجعفرٍ متشبِّهاً بندي يديهِ فلستَ مِن أندادهِ
- ٨ - لا تياسوا أن تستردُّوا مجدكم فلرُبَّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى ولا تجلسنَ إلى أهلِ الدُّنيا

المبحث الثالث

في الاستفهام

الاستفهام: هو طلبُ العلمِ بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبلُ. وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية، وهي:

الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي.

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

(١) سورة البقرة، الآية ٤٢ .

(٢) الإيماض: اللعان.

(٣) أي غير صحيح أو خادع.

(٤) سورة التحريم، الآية ٧ .

الرقم	الغرض	الرقم	الغرض
١-	التوبيخ على خلطهم الحق بالباطل	٥-	التوبيخ والتعنيف
٢-	الإرشاد إلى حسن الخلق	٦-	التمني
٣-	الإرشاد والنصح	٧-	التوبيخ والتأنيب
٤-	التوبيخ والتقريع	٨-	استنهاض الهمة بالنصح

- أ - ما يُطلَبُ به التصوُّرُ تارة، والتصديقُ تارة أخرى، وهو الهمزة.
 ب - وما يُطلَبُ به التصديقُ فقط، وهو: هل.
 ج - وما يُطلَبُ به التصور فقط، وهو بقية ألفاظ الاستفهام الآتية:

١ - الهمزة

يُطلَبُ بالهمزة أحدُ الأمرين: تصوُّر، أو تصديق.
 أ - فالتصور: هو إدراكُ المفرد^(١)، نحو: أعليُّ مسافرٌ أم سعيدٌ؟ تعتقد أن السفرَ حصلَ من أحدهما، ولكن تَطْلُبُ تعيينه.
 ولذا يجاب فيه بالتعيين، فيقال: سعيد، مثلاً.
 وحكم الهمزة التي لطلب التصوُّر أن يليها المسؤول عنه بها، سواءً أكان:

- ١ - مُسنداً إليه، نحو: أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسفُ؟
- ٢ - أم مسنداً، نحو: أراغبُ أنتَ عن الأمرِ أم راغبٌ فيه؟
- ٣ - أم مفعولاً، نحو: إيايَ تقصُدُ أم سعيداً؟
- ٤ - أم حالاً، نحو: أراكباً حضرتَ أم ماشياً؟
- ٥ - أم ظرفاً، نحو: أيومَ الخميسِ قدمتَ أم يومَ الجمعة؟

(١) أي إدراكُ عدم وقوع النسبة، وذلك كإدراك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو هما معاً. أو ذاتِ النسبة التي هي موردُ الإيجاب والسلب.
 فالاستفهامُ عن التصوُّر يكونُ عند التردُّد في تعيين أحدِ الشئين، أي يتردَّد المتكلِّمُ في تعيين أحدِ الأمرين، تُذكرُ بينهما أم المتصلة المعادلة. وقد تحذف هي وما بعدها اكتفاءً بما قبلها. ولا يلي الهمزة غيرُ المتفهم عنه.

والمفردُ كما يكون اسماً يكون فعلاً، نحو: أنتهني عند هذا الحدِّ أم تتمادى؟
 والاستفهامُ عن التصديق يكونُ عن نسبةِ تردُّدِ الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها. وحينئذٍ للهمزة استعمالان، فتارةً يُطلَبُ بها معرفة مفرد، وتارةً يُطلَبُ بها معرفة نسبة. وتسمى معرفة المفرد تصوراً، ومعرفة النسبة تصديقاً. واعلم أن كلَّ همزة استفهام تُستعمل في معناها أو في غيره إن وليها الفعلُ كان هو المقصود بمعناها. وإن وليها الاسمُ كان هو المراد المقصود. فإن قلت: أسافرُ الأميرُ؟ كان الشك في السفر. وإذا قلت: أسعدُ سافرَ كان السفر مفروضاً، والمتفهم عنه ذاتُ السفر.

ويُذكر المسؤول عنه في التصوّر بعدَ الهمزة، ويكونُ له مُعادلٌ يُذكر بعدَ «أم» غالباً، وتُسمى متصلة.

وقد يُستغنى عن ذكر المُعادل، نحو: ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهَيْتَنَا يَا بُرْهِيْمُ﴾^(١).

ب - والتصديق: « هو إدراكٌ وُقوع نسبةٍ تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها»^(٢). بحيث يكونُ المتكلمُ خالي الذهن ممّا استفهم عنه في جملة مُصدّقاً للجواب، إثباتاً «بنعم»، أو نفيّاً «بلا».

وهمزة الاستفهام تدلُّ على التصديق إذا أُريدَ بها النسبة. ويكثر التصديق في الجمل الفعلية، كقولك: أحضر الأمير؟^(٣) تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها. وفي هذه الحالة يجابُ بلفظة «نعم» أو «لا».

ويقلُّ التصديق في الجمل الاسمية، نحو: أعليّ مسافر؟ ويمتنع أن يُذكر مع همزة التصديق مُعادل، كما مثّل.

فإن جاءت «أم» بعدها قُدرت مُنقطعةً،^(٤) وتكونُ بمعنى «بل»، نحو: ولستُ أبالي بعدَ فقدي مالكَأ أموتي ناءٍ أم هو الآن واقع؟ ونحو:

هل يسمعُ النَّضرُ إن ناديتُهُ أم كيف يسمعُ ميّت لا ينطق؟

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٢.

(٢) أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له، واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يُسمى تصديقاً، يسمى: حُكماً، أو إسناداً، أو إيقاعاً وانتزاعاً، أو إيجاباً وسلباً.

(٣) أي فقد تصورت الحضورَ والأميرَ والنسبةَ بينهما، وسألت عن وقوع النسبة بينهما، هل هو محقّق خارجاً أو لا. فإذا قيل: حضر، حصل التصديق، وكذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبةٌ يتردّدُ الذهنُ في ثبوتها ونفيها كما سبق توضيحه.

(٤) أي: ولا بدّ من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة. فإن وقع بعدها مفردٌ قُدرَ بجملةٍ، نحو: أحضر الأميرُ أم جيشه؟ أي بل حضر جيشه.

واعلم أنه تلخّص مما تقدّم أن همزة التصوّر إن جاء بعدها «أم» تكونُ متصلة. وأن همزة التصديق أو هل، إن جاء بعدهما «أم» قُدرت منقطعةً، وتكونُ بمعنى بل.

٢ - هل

يُطلبُ بها التصديقُ فقط، أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها لا غير، نحو: هل حافظُ المصريون على مجدِ أسلافهم؟
ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يُذكر معها المعادلُ بعد «أم» المتصلة. فلذا:

أ - امتنع: هل سعدٌ قامَ أم سعيد؟ لأنَّ وقوعَ المفردِ وهو «سعيد» بعد «أم» الواقعة في حيز الاستفهام دليلٌ على أنَّ أم مُتصلة. وهي لطلبِ تعيينِ أحدِ الأمرين. ولا بُدَّ حينئذٍ أن يُعلَمَ بها أولاً أصلُ الحكم.

و«هل» لا يناسبها ذلك، لأنها لطلبِ الحكم فقط. فالحكمُ فيها غيرُ معلوم، وإلا لم يُستفهم عنه بها، وحينئذٍ يؤدي الجمع بين «هل» و«أم» إلى التناقض. لأنَّ «هل» تُفيدُ أنَّ السائلَ جاهلٌ بالحكم لأنها لطلبه.

و«أم» المتصلة تُفيدُ أنَّ السائلَ عالمٌ به، وإنما يطلبُ تعيينَ أحدِ الأمرين. فإن جاءت أم كذلك، كانت مُنقطعةً بمعنى «بل» التي تفيد الإضراب. نحو: هل جاء صديقك أم عدوك؟

ب - وقَبَّح استعمالُ «هل» في تركيبِ هو مَظِنَّةٌ للعلم بحصولِ أصلِ النسبة، وهو ما يتقدَّم فيه المعمولُ على الفعل، نحو: هل خليلاً أكرمت؟ فتقدِّمُ المعمولُ على الفعلِ يقتضي غالباً حصولَ العلم للمتكلم. وتكون «هل» لطلبِ حصولِ الحاصل، وهو عبثٌ.

تنبيهات

الأول: «هل» كالسَّينِ وَسَوْفَ تُخْلَصُ المضارعُ للاستقبال. فلا يُقال: هَلْ تَصْدُق؟ جواباً لمن قال: أُحِبُّكَ الآن. بل تقولُ له: أَتَصْدُق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارعُ للاستقبالِ قَوِيَّ اتِّصَالُهَا بالفعل لفظاً أو تقديرًا نحو: هل يَجِيءُ عليٌّ، أو هل عليٌّ يَجِيءُ؟

فإن عُذِلَ عن الفعلِ إلى الاسمِ لإبرازِ ما يحصلُ في صورة الحاصل دلالةً على كمال العناية بحصوله كان هذا العُدولُ أبلغَ في إفادة المقصود، كقوله

تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(١). فهذا التركيب أدل على طلب الشكر من قولك: هل تشكرون؟ وذلك لأن الفعل لازم بعد «هل»، والعدول عنه يدل على قوة الداعي لذلك إما ذكر.

الثاني: «هل» نوعان: بسيطة، ومركبة:

أ - فالبسيطة هي التي يُستفهم بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو: هل العنقاء^(٢) موجودة؟ ونحو: هل الخيل الوفي موجود؟

ب - والمركبة هي التي يُستفهم بها عن وجود شيء لشيء وعدم وجوده له، نحو: هل المريخ مسكون؟ هل النبات حساس؟

الثالث: «هل» لا تدخل على:

١ - المنفي،^(٣) فلا يقال: هل لم يفهم علي؟

٢ - ولا على المضارع الذي هو للحال، ولا يقال: هل تحتقر علياً وهو شجاع؟

٣ - ولا على إن، ولا يقال: هل إن الأمير مسافر؟

٤ - ولا على الشرط، ولا يقال: هل إذا زرتك تكرميني؟

٥ - ولا على حرف العطف،^(٤) ولا يقال: هل فيتقدم أو هل ثم يتقدم؟

٦ - ولا على اسم بعده، ولا يقال: هل بشراً منا واحداً نتبعه؟

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٠ .

(٢) حكى الزمخشري في «ربيع الأبرار» أن العنقاء كانت طائراً، وكان فيها من كل شيء من الألوان. وكانت في زمن أصحاب الرُّس تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم، فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام، فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت «عنقاء مغرب» لذلك.

(٣) أي لأن «هل» في الأصل بمعنى «قد». وهي لا تدخل على المنفي. فلا يقال: قد لا يقوم خليل. فحينئذ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة، سواء أكانت جملاً فعلية أو اسمية. واعلم أن عدم دخولها على المنفي لا يُنافي أنها لطلب التصديق مطلقاً سواء في الإيجابي والسلبي.

(٤) أي لا تقع «هل» قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائماً.

واعلم أن الهمزة وهل، يُسألُ بهما عما بعدهما، لأنهما حرفان ليس لهما معنى مستقل.

الرابع: بقیة أدوات الاستفهام موضوعة للتصور فقط، فيُسألُ بها عن معناها، وهي:

ما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأتى، وكم، وأتى، ولهذا يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه.

ما - من

ما: موضوعة للاستفهام عن أفراد غير العقلاء. ويطلبُ بها:

أ - إيضاح الاسم: نحو: ما العَجْدُ؟ فيقال في الجواب: إنه ذهب.

ب - أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المسمى، نحو: ما الشمسُ؟ فيجَابُ بأنه كوكبٌ نهارِيّ.

ج - أو يُطلبُ بها بيان الصفةِ نحو: ما خليلٌ؟ وجوابه: طويلٌ أو قصير، مثلاً.

وتقع «هل» البسيطة في الترتيب العقلي^(١) بين «ما» التي لشرح الاسم، و«ما» التي للحقيقة.

فمن يجهل معنى البشر مثلاً يسأل أولاً «بما» عن شرحه، فيجَابُ بإنسان، ثم «بهل» البسيطة عن وجوده، فيجَابُ بنعم. ثم «بما» عن حقيقته، فيجَابُ بحيوان ناطق.

ومن: موضوعة للاستفهام. ويطلبُ بها تعيين أفراد العقلاء، نحو: من فتح مصر؟ ونحو: من شيد الهرم الأكبر؟ ونحو: من شيد القناطر الخيرية؟

متى وأيان

متى: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيين الزمان، سواء أكان ماضياً أو مستقبلاً، نحو: متى تولّى الخلافة عمر؟ ومتى تحظى بالحرية؟

(١) الترتيب العقلي: هو أن يكون المتأخر متوقعاً على المتقدم، من غير أن يكون المتقدم علّة له، وذلك كتقدم المفرد على المركب.

وأَيَان: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ الزَّمانِ المستقبلِ خاصة. وتكونُ في موضعِ التَّهْوِيلِ والتَّفْخِيمِ دونَ غيره، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمُ أَلْقَيْنَا﴾ (١)(٢).

كيف - وأين - وأنى - وكم - وأتى

كيف: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ الحال، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٣)، وكقوله: وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرَمُ الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل؟ وأين: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ المكانِ نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ﴾ (٤).

وأنى: موضوعة للاستفهام، وتأتى لمعانٍ كثيرة:

١ - فتكونُ بمعنى كيف، كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَجِيءُ هَٰذَا إِلَهُكَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٥).

٢ - وتكونُ بمعنى مِنْ أين؟ كقوله تعالى: ﴿يَلْمِزُ أَنتَ لِلَّهِ هَٰذَا﴾ (٦).

٣ - وتكونُ بمعنى متى، كقولك: زُرني أَنَّى شئت.

وكم: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ عَدَدٍ مبهم. كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾ (٧).

وأَتَى: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تمييزُ أحدِ المتشاركين في أمرٍ يعمُّهما، كقوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ (٨) ويسألُ بها عن الزمان،

(١) أي فقد استعملت أَيَان مع يوم القيامة للتَّهْوِيلِ والتَّفْخِيمِ بشأنه. وجواب هذا السؤال: ﴿يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى النَّارِ نُنْفَتُونَ﴾ (١٣) [الذاريات: ١٣].

(٢) سورة القيامة، الآية ٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٤١.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٧) سورة الكهف، الآية ١٩.

(٨) سورة مريم، الآية ٧٣.

والمكان، والحال، والعدد، والعاقِل، وغيره على حسب ما تُضاف إليه «أي».

ولذا تأخذ «أي» معناها ممّا تضاف إليه فإن أُضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت حكمها. وإن أُضيفت إلى ما تُفيده «متى، أو كيف» أو غيرهما من الأدوات السابقة أخذت معناها.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي - وهو طلب العلم بمجهول - فيستفهم بها عن الشيء، مع العلم به لأغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام ودلالته، ومن أهم ذلك:

- ١ - الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) أي انتهوا.
- ٢ - والنهي، كقوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوهُمْ فَالِهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾^{(٢)(٣)}.
- ٣ - والتسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).
- ٤ - والنفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^{(٥)(٦)}.
- ٥ - والإنكار^(٧)، كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾^(٨).
- ٦ - والتشويق، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى بَحْرٍ نُجِجَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٩).

(١) سورة المائدة، الآية ٩١ .
 (٢) أي: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.
 (٣) سورة التوبة، الآية ١٣ .
 (٤) سورة البقرة، الآية ٦ .
 (٥) سورة الرحمن، الآية ٦٠ .
 (٦) أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.
 (٧) اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفياً، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكَتُ﴾ [إبراهيم: ١٠]، أي لا شك فيه. وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَحْدِكْ يَئِيساً﴾ [الضحى: ٦]، أي: قد وجدناك. وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفياً لهما. ونفي الإثبات نفياً، ونفي الإثبات إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب، نحو: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع، نحو: ﴿قَالَ أَتَشْكُرُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، حينما رأهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

(٨) سورة الأنعام، الآية ٤٠ .

(٩) سورة الصف، الآية ١٠ .

- ٧ - والاستئناس، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى﴾ (١) ﴿٧﴾ .
- ٨ - والتقرير، (٢) كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٣) .
- ٩ - والتهويل، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ (٤) .
- ١٠ - والاستبعاد، كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٥) ﴿١٣﴾ ، ونحو قول الشاعر:
- مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجْهَلْتُ، كَانَ الْجِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ؟
- ١١ - والتعظيم، كقوله تعالى:
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٦) .
- ١٢ - والتحقير، نحو: أهذا الذي مدحته كثيرًا؟
- ١٣ - والتعجب، كقوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٧) . وكقول الشاعر:
- خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟
- ١٤ - والتهكم، نحو: أعقلك يُسَوِّغُ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا؟
- ١٥ - والوعيد، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٨) .
- ١٦ - والاستبطاء، كقوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ (٩) . ونحو: كم دعوتك؟

(١) سورة طه، الآية ١٧ .

(٢) ويكون غالباً بالهمزة يليها المقرّر به، كقولك: أفعلت هذا، إذا أردت أن تقرّره بأن الفعل كان منه . وكقولك: أنت فعلت هذا؟ إذا أردت أن تقرّره بأنه الفاعل . وكقولك: أخيلًا ضربت؟ إذا أردت أن تقرّره بأن مضروبهُ خليلٌ . ويكون التقرير أحياناً بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب؟ وكم لي عليك؟

(٣) سورة الشرح، الآية ١ .

(٤) سورة الحاقة، الآيات من ١ إلى ٣ .

(٥) سورة الدخان، الآية ١٣ .

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

(٧) سورة الفرقان، الآية ٧ .

(٨) سورة الفجر، الآية ٦ .

(٩) سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

١٧ - والتنبية على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(١).

١٨ - والتنبية على الباطل، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾^(٢).

١٩ - والتحسر، كقول شمس الدين الكوفي:
ما للمنازلِ أصبحت لا أهلها أهلي، ولا جيرانها جيرانِي؟
٢٠ - والتنبية على ضلال الطريق، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذَهَبُونَ﴾^(٣).

٢١ - والتكثير، كقول أبي العلاء المعري:
صاح، هذي قبورنا تملأ الرُّحـ بَ فأين القبورُ من عهدِ عادٍ؟
واعلم أن كلَّ ما وُضع من الأخبار في صورة الاستفهام في الأمثلة السابقة والآية تجددت له مزية بلاغية، زادت المعنى روعةً وجمالاً.
إذا عرفت هذا، فاعرف أيضاً أنه يستعمل كلُّ من (الأمر، والنهي، والاستفهام) في أغراض أخرى، يُرجعُ في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وُضعت له إلا لطريقة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة.

تطبيق

ماذا يُراد بالاستفهام فيما يلي؟
- أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بطونَ راح؟^(٤)
- أُنْلهو وأَيامُنَا تَذْهَبُ ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ؟^(٥)

(١) سورة البقرة، الآية ٦١ .

(٢) سورة الزخرف، الآية ٤٠ .

(٣) سورة التكوين، الآية ٢٦ .

(٤) التقرير: لأن المقام للمدح، وذلك أبلغ فيه. ولو أن جريراً قال في مدحه: «أنت خير من ركب المطايا» لكان قوله (خيراً) يحتمل الصدق والكذب، ولكنه إذ وضعه في صورة الاستفهام لم يجعله خيراً يُشكُّ فيه. بل جعله حقيقة لا يجهلها أحد، ولا ينكرها إذا سئل عنها.

(٥) النهي عن اللعب، ويصح أن يكون للتهكم.

- متى يبلغُ البُنيانُ يوماً تمامه
- فعلامٌ يلتمسُ العدوُ مَساءتي
- وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرِمُ الغنى
- وهل نافعِي أن تُرفعَ الحُجبُ بيننا
- أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا
- ومَن مثلُ كافورٍ إذا الخيلُ أحجمتْ
- أفي الحقُّ أن يُعطى ثلاثونَ شاعراً
- أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيّةٍ
- فدعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائري
- ومَن ذا الذي يُذلي بعُذرٍ وحقّةٍ
- إذا محاسني اللاتي أتيتُ بها
- إلأمَ وفيهمَ نَنقُلُنا رِكابَ
- فهل لي أن أراكِ قُبيلَ موتي
- إذا كنتَ تبنيه وغيرُكَ يهدِمُ؟^(١)
من بعدِ ما عرفَ الخلائقُ شاني؟^(٢)
ورأيي أميرِ المؤمنينَ جميلُ؟^(٣)
ودونَ الذي أملتُ منك حجابُ؟^(٤)
ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ؟^(٥)
وكان قليلاً مَن يقولُ لها: اقدمي؟^(٦)
ويُحرِمَ ما دونَ الرِّضا شاعرٌ مثلي؟^(٧)
يُصدِّقُ واشٍ أو يُخيِّبُ سائلُ؟^(٨)
أطنينُ أجنحةِ الذُّبابِ يَضِيرُ؟^(٩)
وسيفُ المنايا بينَ عينيه مُضِلَّتْ؟^(١٠)
عُدَّتْ ذنوباً فُقلُ لي: كيف أعتذرُ؟^(١١)
ونأملُ أن يكونَ لنا أوانُ؟^(١٢)
ولو في التَّوَمِ يا بنتَ الكرامِ؟

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟ ما هي أدواته؟ ما الذي يُطلبُ بالهمزة؟ ما هو التصوُّر؟
ما هو التصديق؟ ما الفرقُ بين همزة التصوُّر، وهمزة التصديق، وهل؟ ماذا
يُطلبُ بأدوات الاستفهام غيرِ الهمزة وهل؟ ما الذي يُطلبُ بـ «مَن»؟ ما الذي

(١) الإنكار، وبيانُ أن ذلك لن يكون.

(٢) التعجب من عمل لا يجديه نفعاً.

(٣) النفي، وذلك أوقع في المدح.

(٤) النفي، وبيانُ أن ذلك ليس بمفيد.

(٥) التعظيم، وإكبارُ شأنه.

(٦) النهي، والتنويه بشجاعته.

(٧) الإنكار، وبيانُ أن ذلك لا ينبغي أن يكون.

(٨) الإنكار، وبيانُ أن ذلك لا ينبغي أن يكون.

(٩) التهكم والتحقير.

(١٠) التعظيم، وتهويلُ شأن الموقف.

(١١) النفي.

(١٢) الاستبطاء.

يُطْلَبُ بـ «ما»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «متى»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «كيف»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «كم»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «أيان»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «أتى»؟ ما الذي يُطْلَبُ بـ «أى»؟ ما هي المعاني التي تخرج إليها أداوتُ الاستفهام عن معانيها الأصلية؟

تمرين (١)

ما هي المعاني التي استعملَ فيها الاستفهامُ في الأمثلة الآتية؟
قال تعالى:

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟﴾^(١).
- ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ؟﴾^(٢).
- ﴿أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ؟﴾^(٣).
- ﴿أَلَا تَقِيلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).
- ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥) ﴿٧٠﴾.
- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٦) ﴿٨٢﴾.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧).
- ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^(٨) ﴿٤٠﴾.

(١) سورة الرعد، الآية ١٦ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٣ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٧ .

(٤) سورة التوبة، الآية ١٣ .

(٥) سورة البقرة، الآية ٧٥ .

(٦) سورة آل عمران، الآية ٨٣ .

(٧) سورة البقرة، الآية ٦ .

(٨) سورة الإسراء، الآية ٤٠ .

- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾^(١).

- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

- ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾^(٤).

- قال أبو نواس:

أنا في ذمة الخَصِيبِ مقيمٌ حيث لا تهتدي صُرُوفُ الزمانِ
كيف أخشى عليَّ غَوْلَ^(٥) الليالي ومكاني من الخَصِيبِ مكاني؟

- وقال أبو تمام يمدحُ عبد الله بن طاهر:
يقول: في قَوْمِسِ قومي وقد أَخَذْتُ منا السُّرى وخُطَا المَهْرِيةِ القُودِ^(٦)
أَمَطَّلَعَ الشمسِ تَبْغِي أَنْ تَوُؤَّمَ بنا؟ فقلت: كلا، ولكن مَطَّلَعَ الجودِ
- وقال يفخر بقومه:

مَضَوْا وكَأَنَّ المَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ لكثرة ما أَوْصَوْا بهنَّ شرائعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي المَجْدِ مُدَّتْ فلم تكن لها راحةٌ من جودِهِم وأصابعُ؟
- وقال رجلٌ من الخوارج كان الحجاجُ قد عفا عنه:

أُفَاتِلُ الحَجَّاجَ عن سُلْطَانِهِ بيدِ تُقَرُّ بِأَنَّها مولاتُهُ؟
- وقال أبو تمام:

إِلَى بني عبدِ الكريمِ تَشَاوَسَتْ عيناك، وَنَحَكَ خِلْفَ مَنْ تَتَفَوَّقُ؟

(١) سورة النساء، الآية ٣٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ١١.

(٣) سورة الملك، الآية ٢٢.

(٤) سورة الضحى، الآيات من ٦ إلى ٨.

(٥) مصائب الدهر.

(٦) المنقادة.

- ما أنشئت للمكرّمات سحابة
- وقال المرحوم أحمد شوقي:
إلام الخلف بينكم إلاما
وفيم يكيّد بعضكم لبعض
- وقال ابن الرّومي:
ما كان في فضلاء الناس لي أمل
- وقال العباس بن الأحنف:
قلبي إلى ما ضرّني داعي
كيف احتراسي من عدوي إذا
- وقال زُفر بن الحارث:
أيذهب يوم واحد إن أسأته
- وقال زياد الأعجم:
فمن أنتم؟ إنا نسينا من انتم
- وقال إبراهيم الموصلي:
وأمره بالبخل قلت لها: اقصري
وكيف أخاف الفقر أو أحرّم الغنى
- وقال جميل بن معمر:
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
وهل ألقين سغدى من الدهر مرة
- وقال شمس الدين الكوفي:
مالي ولأيام شئت خطبها
- إلا ومن أيديهم تتدفق
وهذي الضجة الكبرى علاماً؟
وتبدون العداوة والخصاماً؟
فكيف أمّلت خيراً في المجانين؟
يكثر أسقامي وأوجاعي
كان عدوي بين أضلاعي؟
بصالح أيامي وحسن بلائيا؟
وريحكم من أي ريح الأعاصير؟
فليس إلى ما تأمرين سبيل
ورأي أمير المؤمنين جميل؟
بوادي القرى! إني إذا لسعيد
وما رث من حبل الصفاء جديداً؟
شملي وخلّاني بلا خلان؟

تصريح (٢)

وضّح الأغراض التي خرج إليها: الأمر، والنهي، والاستفهام في الأمثلة الآتية:

- قال أبو الطيب يعاتب رجلاً ظن أنه هجاه، وكان غيره هو الذي هجاه:

أثْكَرُ يا ابن إسحاقٍ إخائي
أَنْطِقْ فيكَ هُجْراً بعدَ عِلْمي
وهَبْني قلت: هذا الصبحُ ليلٌ
- وقال يُخاطبُ سيفَ الدولة:

أَجْزَني إذا أنْشَدْتَ شِعْراً، فإنَّما
ودغ كلِّ صوتٍ غيرِ صوتي فإنني
- وقال:

عِشْ عَزيزاً أو مُتْ وأنتَ كَريمٌ
واطْلُبِ العِزَّ في لَظَى ودَّرِ الدُّ
- وقال:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنيا إذا لم تُرْذِ بها
- وقال أبو فراس:

بِمَنْ يَثِقُ الإنسانُ فيما يَنوِّه؟
وقد صارَ هذا الناسُ إلا أَقلُّهُم

- وقال أبو العتاهية في عبد الله بن معن بن زائدة:

فَضُغَ ما كُنْتَ حَلَّيْتَ
وما تَضَنُّعُ بالسيفِ

- ولا بن رشيق:

أَيُّها اللَّيلُ طُلْ بغيرِ جُناحٍ^(٣)
كيفَ لا أَبْغُضُ الصِّباحَ وفيه

ليسَ للعَيْنِ راحَةً في الصِّباحِ
بأنَّ عَنِّي نورُ الوجوهِ المِلاحِ؟

(١) الصدى: الصوت الراجع.

(٢) البنود: الأعلام.

(٣) إثم.

- وقال كثير:

أسيئي بنا أو أحسنني لا مَلُومَةٌ لَدِينَا وَلَا مَفْلِيَّةٌ^(١) إِنْ تَقَلَّتْ
فَلَا يَبْعَدُنْ وَصَلٌ لِعِزَّةٍ أَصْبَحَتْ بِعَاقِبَةِ أَسَابِهِ قَدْ تَوَلَّتْ

- وقال البحري:

إِسْلَمَ أبا الصَّقْرِ لِلْمَعْرُوفِ تَصْنَعُهُ وَالْمَجْدِ تَبْنِيهِ فِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

- وقال الفرزدق:

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ يَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا

- وقال جرير:

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ: هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيَّةِ نَاجِي؟

- وقال المعري:

إِفْهَمْ عَنِ الْأَيَّامِ فَهِيَ نَوَاطِقُ مَا زَالَ يَضْرِبُ صَرْفُهَا الْأَمْثَالَ
لَمْ يَمْضِ فِي دُنْيَاكَ أَمْرٌ مُعْجَبٌ إِلَّا أَرْتَكَ لِمَا مَضَى تِمَثَالًا

- وقال:

مَا افْتَخَارُ الْفَتَى بِثَوْبٍ جَدِيدٍ وَهُوَ مِنْ تَحْتِهِ بِعَرَضٍ لَبِيسٍ
وَالْفَتَى لَيْسَ بِاللُّجَيْنِ^(٢) وَبِالتُّبِّ بَرٍّ وَلَكِنْ بِعِزَّةٍ فِي النُّفُوسِ

- وقال المرحوم إسماعيل صبري باشا يرثي طفلاً صغيراً:

يَا مَالِيَّ الْعَيْنِ نَوْرًا وَالْفؤَادِ هَوًى وَالْبَيْتِ أَنْسَاءً تَمَهَّلْ أَيُّهَا الْقَمَرُ
لَا تُخْلِ أَفْقَكَ يَخْلُفَكَ الظَّلَامُ بِهِ وَالزَّمْ مَكَانَكَ لَا يَخْلُلْ بِهِ الْكَدَرُ

المبحث الرابع

في التمني

التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُزجى، ولا يُتوقع حصوله:

١ - إما لكونه متحياً، كقوله:

(١) مَبْغُضَةٌ. وَمِنْهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [سورة الضحى: الآية ٣].

(٢) الْفُضَّةُ.

ألا لَيْتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرَهُ بما فعلَ المشيبُ
٢ - وإما لكونه مُمكنًا غير مطموحٍ في نيله، كقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُثُورٌ﴾^(١).

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممَّا يُرْجى حصوله كان طلبه تَرْجِيًا، ويُعْبَرُ فيه
«بعسى، ولعلَّ» كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢)، و﴿فَعَسَى
اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾^(٣).

وقد تستعملُ في التَّرجِي «لَيْتَ» لغرضٍ بلاغيٍّ^(٤).
وللتَّمَنِّي أربعُ أدوات: واحدةٌ أصليَّةٌ، وهي «لَيْتَ»، وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ
نايئةٌ عنها، ويُتمنَّى بها لغرضٍ بلاغيٍّ، وهي:

١ - هل^(٥)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(٦) ^(٧).

٢ - ولو^(٨)، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩).

٣ - ولعل^(١٠)، كقوله:

(١) سورة القصص، الآية ٧٩ .

(٢) سورة الطلاق، الآية ١ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٢ .

(٤) الغرض: هو إبرازُ المرجوِّ في صورةِ التصحيلِ مبالغَةً في بُعدِ نيله، نحو:

فيا لَيْتَ ما بيني وبين أحبِّي من البُعْدِ ما بيني وبين المصائبِ
وقد تستعمل أيضاً للتندّم نحو: ﴿يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

(٥) اعلم أنَّ سببَ العدولِ عن «لَيْتَ» إلى «هل» إبرازُ التَّمَنِّي لكمالِ العنايةِ به في صورةِ
التمكّن الذي لا يجزُمُ بانتفائه، وهو المتفهم عنه.

(٦) لما كان عدمُ الشفعاء معلوماً لهم امتنعَ حقيقةُ الاستفهام، وتولّدَ منه التَّمَنِّي المناسبُ
للمقام.

(٧) سورة الأعراف، الآية ٥٣ .

(٨) وسببُ العدولِ إلى «لو» الدلالةُ على عِزّةِ مُتَمَنّاهِ وندرته، حيثُ أبرزه في صورةِ الذي لا
يُوجدُ، لأن «لو» تدلُّ بأصلِ وضعها على امتناعِ الجوابِ لامتناعِ الشرط.

(٩) سورة الشعراء، الآية ١٠٢ .

(١٠) وذلك لبُعْدِ المرجوِّ، فكانه ممَّا لا يُرجى حصوله. واعلم أنَّ «هلا، وألا، ولوما، ولولا»
مأخوذة من «هل ولو» بزيادةِ «ما» و«لا» عليهما، وأصلُ «ألا - هلا»، قلبتِ الهاءُ همزةً
ليتعين معنى التمني، ويزول احتمالُ الاستفهام والشرط، فيتولّدُ من التمني معنى التندّم في
الماضي، نحو: هلا قمت؟ ومعنى التخصّيص في المستقبل نحو: هلا تقف؟ =

أَسْرَبُ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ؟ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
ولأجل استعمال هذه الأدوات في التمني يُنصب المضارع الواقع في
جوابها.

تمرين

- يَبَيِّنُ المعاني المستفادة من صيغ التمني فيما يأتي:
- قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١).
- عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا جِسْمِي تَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
- لو يأتينا فيحدثنا، لَعَلِّي أَحْجُ فَأُزَوِّدُكَ، ﴿بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا﴾، ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾^(٢)، ﴿بَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِكَ قُرُونٌ﴾^(٣)،
﴿لَعَلِّي أَتْلُعُ أَلْسِنَتَهُ﴾^(٤)، لو تلو الآيات فتشقق سمعي.
- كُلُّ مَنْ فِي الْكَوْنِ يَشْكُو دَهْرَهُ لَيْتَ شَعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ؟
- فَلَيْتَ اللَّيْلِ فِيهِ كَانَ شَهْرًا وَمَرَّ نَهَارُهُ مَرَّ الْحَابِ
- فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا

المبحث الخامس

في النداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرفٍ نائبٍ منابٍ
«أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء. وأدواته ثمانية:
الهمزة، وأي، ويا، وآ، وآني، وأيا، وهيا، ووا^(٥).

= ولا يُتمنى بهل، ولو، ولعل، إلا في المقطوع بعدم وقوعه لثلاث تحمل على معانيها
الأصلية.

- (١) سورة غافر، الآية ١١ .
- (٢) سورة الشورى، الآية ٤٤ .
- (٣) سورة القصص، الآية ٧٩ .
- (٤) سورة غافر، الآية ٣٦ .
- (٥) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه (يبا).

وهي في كيفية الاستعمال نوعان:

١ - الهمزة، وأي: لنداء القريب.

٢ - وباقي الأدوات: لنداء البعيد.

وقد يُنزلُ البعيدُ منزلةَ القريب، فينادى بالهمزة، وأي، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، لا يغيبُ عن القلب، وكأنه مائلٌ أمامَ العين، كقول الشاعر:

أُسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بِأَتَكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ
وقد يُنزلُ القريبُ منزلةَ البعيد، فينادى بغير «الهمزة، وأي».

أ - إشارةً إلى علو مرتبته، فيجعلُ بُعدَ المنزلِ كأنه بُعدٌ في المكان، كقوله: «أيا مولاي» وأنت معه للدلالة على أَنَّ المُنادى عظيمُ القدر، ورفيعُ الشأن.

ب - أو إشارةً إلى انحطاط منزلته ودرجته، كقولك: «أيا هذا» لِمَن هو معك.

ج - أو إشارةً إلى أَنَّ السامعَ لغفته وشُرودَ ذهنه، كأنه غيرُ حاضر كقولك للساهي: أيا فلان، وكقول البارودي:

يَا أَيُّهَا السَّادِرُ الْمُزَوَّرُ مِنْ صَلَفٍ مَهْلًا، فَإِنَّكَ بِالْأَيَّامِ مُنْخَدِعٌ^(١)
وقد تخرجُ ألفاظُ النداء عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى، تُفهمُ من السياق بمعونة القرائن. ومن أهم ذلك:

١ - الإغراء، نحو قولك لمن أقبلَ يتظلم: يا مظلوم.

٢ - والاستغاثة، نحو: يالله للمؤمنين.

٣ - والتدبة، نحو قول الشاعر:

فَوَاعِجِبَا كَمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ وَوَا أَسْفا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلٌ!

٤ - والتعجب، كقول الشاعر:

(١) السَّادِرُ: الذاهب عن الشيء ترفعاً عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع. المَزَوَّرُ: المنحرف. والصلف: الكِبَر.

يا لك من قُبْرَةٍ بِمَغْمَرٍ خلا لك الجوُّ فيضي واصفري^(١)

٥ - والزجر، كقول الشاعر:

أفؤادي متى المتابُ أَلَمَّا تَضَحُ والشَّيبُ فوقَ رأسي أَلَمَّا

٦ - والتحسر والتوجع، كقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾^(٢).

وكقول الشاعر:

أيا قبرَ مَعْنٍ كيفَ واريثَ جُودَه وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مُتَرَعَا؟

٧ - والتذكر، كقوله:

أيا منزلي سَلَمَى، سلامٌ عليكما هل الأزمُنُ اللاتي مَضَيْنَ رواجِعُ؟

٨ - والتحيز والتضجر، نحو قول الشاعر:

أيا مَنَازِلَ سَلَمَى أينَ سَلَماءُ؟ من أجلِ هذا بكيناها بكيناكِ

ويكثرُ هذا في نداءِ الأطلال، والمطايا، ونحوها.

٩ - والاختصاص،^(٣) هو ذكرُ اسمِ ظاهرٍ بعدَ ضميرٍ لأجلِ بيانه. نحو

قوله تعالى: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَرَكَنَهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٤)، ونحو:

نحن العلماءُ ورثةُ الأنبياء.

وهو:

أ - إِمَّا للتفاخر، نحو: أنا أَكْرَمُ الضَّيْفِ أَيُّهَا الرَّجُلُ.

ب - وإِمَّا للتواضع، نحو: أنا الْفَقِيرُ الْمَسْكِينُ أَيُّهَا الرَّجُلُ.

ونحو: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا أَيُّهَا الْعِصَابَةُ^(٥).

(١) أي: صبحي وغثي وأصدري ما تشائين من الأصوات.

(٢) سورة النبأ، الآية ٤٠.

(٣) بيانُ ذلك أن النداءَ تخصيصُ المنادى بطلبِ إقباله عليك. فجُرْدَ عن طلبِ الإقبال،

واسْتَعْمَلَ في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسبَ إليه منها.

(٤) سورة هود، الآية ٧٣.

(٥) أي: اللهم اغْفِرْ لَنَا مَخْصُوصِينَ من بين العصائب. فصورته صورةُ النداء وليس به، إذا لم

يُرد به إلا ما دلَّ عليه ضميرُ المتكلم السابق. ولذا لا يجوزُ إظهارُ حرفِ النداء فيه.

تمرين

بيّن المعاني الحقيقية المستفادة من صيغ النداء، والمعاني المجازية المستفادة من القرائن:

- صاح شَمَز ولا تَزَلْ ذاكَرَ المؤ
- يا لَقُومي ويا لأمثالِ قُومي
- يا للرجالِ ذوي الألبابِ مِنْ نَفَرٍ
- أيها القلبُ قد قَضيتَ مَراماً
- أيا شجرَ الخابورِ^(١) مالكَ مورقاً؟
- يا أيها الظالمُ في فعلهِ
- أريحانةَ العينينِ والأنفِ والحشا
- يا ناقُ سيري عَنقاً^(٢) فيحاً
- حَجَبوهُ عن الرِّياحِ لأنّي
- يا ليتني كنتُ صبيّاً مُرضعاً
- يا ليلةَ لستُ أنسى طيبها أبداً
- يا ليلةَ كالمسكِ مَخبرُها
- أحييتُها والبدرُ يخدمُني
- يا مَنْ تُذكّرُني شمائله
- وإذا امتطى قلمُ أنامله
- يا قلبُ ويحك، ما سمعتَ لناصح
- يا أعدلَ الناسِ، إلا في معاملتي
- يا رحمةَ الله حُلّي في منازلنا
- فنسيائهُ ضلالٌ مُبينٌ
- لأناسٍ عُثُوهُم في ازديادٍ
- لا يَبْرَحُ المَفْهُ المُزدي لهم دينا
- فالآلَمَ الوُلُوعُ بالشَّهواتِ؟
- كأنك لم تجزَعِ على ابنِ طريف!
- الظُّلُمُ مَردودٌ على مَنْ ظَلَمَ
- ألا ليتَ شعري هل تغيّرتَ من بَعدي؟
- إلى سُلَيْمانَ فنستريحاً
- قلتُ: يا ريحُ بلُغيهِ السّلاما
- تحملُني الدّلفاءُ حَولاً أكتعا
- كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٍ فيها
- وكذاك في التشبيهِ منظرُها
- والسَّمْسُ، أنْهاها وأمرُها
- ريحَ الشمالِ تنفّستَ سَحْرا
- سَحَرَ العقولَ به وما سُجِرا
- لَمّا ارتَميتَ ولا اتَّقيتَ مَلاماً؟
- فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ
- وجاورينا فدَتِكَ النَفْسُ من جارٍ

(١) نهر كبير يقع في الشمال الشرقي من سورية.

(٢) العنق: السير السريع.

تنبيهات

الأول - يُوضَعُ الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة، أهمُّها:

١ - التفاؤل، نحو: «هذاكَ الله لصالحِ الأعمال». كأنَّ الهدايةَ حصلت بالفعل فأخبرَ عنها. ونحو: وَقَفَكَ اللهُ.

٢ - والاحترازُ عن صورة الأمرِ تأدباً واحتراماً، نحو: رَحِمَ اللهُ فلاناً، ونحو: يَنْظُرُ مولايَ في أمري ويقضي حاجتي.

٣ - والتنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب، كقول الأمير لجنده: «تَأْخُذُونَ بِنَوَاصِيهِمْ»^(١) وَتُنْزِلُونَهُمْ مِنْ صِيَاصِيهِمْ»^(٢).

٤ - والمبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال، نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾^(٣). لم يقل: لَا تَسْفِكُوا، قصداً للمبالغة في التهي، حتَّى كأنهم نُهوا فامتثلوا. ثم أخبر عنهم بالامتثال.

٥ - إظهار الرغبة، نحو قولك في غائب: رَزَقَنِي اللهُ لقاءه.

الثاني - يُوضَعُ الإنشاء موضعَ الخبر لأغراضٍ كثيرة، منها:

أ - إظهار العناية بالشيء، والاهتمام بشأنه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٤).

لم يقل: وإقامة وجوهكم، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة لعظيم خطرها، وجليل قدرها في الدين.

ب - التحاشي والاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٥) مِنْ دُونِهِ. لم يقل: وَأَشْهَدُكُمْ تحاشياً وفراراً مِنْ مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث - الإنشاء كالخبر في كثيرٍ ممَّا ذُكر فيه، ومما سيذكر في الأبواب التالية، من الذكر والحذف وغيرهما، إن شاء الله تعالى.

(١) النواصي: شعر مقدَّم الرأس.

(٢) الصياصي: الحصون.

(٣) سورة البقرة، الآية ٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٤.

(٥) سورة هود، الآيتان ٥٤ و٥٥.

الرابع - يُتعمَلُ كُلُّ من: الأمر والنهي والاستفهام في أغراضٍ أُخَرُ يُرجَعُ في إدراكها إلى الذوق الأدبي. ولا يكون استعمالها في غير ما وُضِعَتْ له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقى بها الكلام في درجات البلاغة، كما سبق القول.

تطبيق

يَبَيِّن المعاني المستفادة من النداء، وسبب استعمال أداة دون غيرها فيما يلي:

- ١ - أيا منازلَ سلمى أينَ سلماء؟ من أجل هذا بكيناها بكيناك^(١)
- ٢ - صادح الشرق قد سكَّت طويلاً وعزيرُ علينا ألا تقولا^(٢)
- ٣ - أيا قبرَ معن كيفَ واريثَ جوده وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مُترعا^(٣)
- ٤ - يا دُرَّة نَزَعَتْ من تاجٍ والدها فأصبحثَ جليةً في تاجِ رضوانٍ
- ٥ - فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونه

(١) يريد: لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل. فواؤ العطف محذوفة.

(٢) صدح الرجل: رفع صوته بالغناء.

(٣) المترع: أي المملوء.

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إظهار الأداة
١ -	أيا	التضجر والتحير معاً	تنزيلُ المنازل المخاطبة منزلةً البعيد لعظم شأنها لديه.
٢ -	يا الملحوظة	التضجر والتحير معاً	كونُ المنادى بعيدَ المرتبة حقيقة.
٣ -	أيا	التحسر	تنزيلُ المخاطب منزلةً البعيد إشعاراً برفعة شأنه.
٤ -	يا	التحسر	تنزيلُ المنادى منزلةً البعيد تنوياً بعظم الأمر ورفعة القدر.
٥ -	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة.

تطبيق آخر

وضَّح الاعتبارَ الدَّاعي لوضع كلِّ من الخبر والإنشاء موضعَ الآخر:

١ - قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٢).

وقال الشاعر:

٣ - أتايني أبيتَ اللعنِ أنك لُمَني وتلكَ التي أهتمُّ منها وأنصَبُ^(٣)

٤ - إذا فعاقبني ربي مُعاقبةً قرَّت بها عينُ مَنْ يأتيك بالحسدِ

تدريب

بيِّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس:

- كلُّ خليلٍ كنتُ خالئُهُ لا تركَ اللهَ له واضِحَه

- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا﴾^(٤).

- تقول لصديقك: رزقني الله لقاءك. ويقول الشاعر:

- ولائمةٍ لامتك يا فضلُ في الندى فقلتُ لها: هلا أثرُ اللومِ في البحر؟

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٣) أبيت اللعن: كانت تحية الملوك، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به. أهتم أي أصير ذا هم. أنصب أي أتعب.

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الإنشاء	إذ التقدير: أحسنوا بالوالدين والمقام للإخبار.	الاهتمام وإظهار العناية.
٢-	الخبر	إذ المعنى: ليأمن مَنْ دخله	إظهار الحرص على وقوعه.
٣-	الخبر	المقام للإنشاء إذ الغرضُ الدعاء له	التفاؤل بالدعاء.
٤-	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه.

(٤) سورة هود، الآية ٤١.

أَتَشْهِنَ فَضْلاً عَنْ عَطَايَاهُ لِلرُّورَى؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى الْغَمَامَ عَنِ الْقَطْرِ؟

تصريح

عَيْنُ الْجَمَلِ الْخَبْرِيَّةُ وَالْإِنْشَائِيَّةُ فِيمَا يَأْتِي:

قال تعالى:

- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ رَكْبَهُ وَرُسُلِهِ﴾^(١).

- ﴿يَمَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٢).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣).

- قال الرسول ﷺ:

«استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محمود».

- ومن وصية عبد الملك بن مروان لأولاده:

«يا بني، كفوا إذا كنم، وابذلوا معروفكم، واغفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سئلتهم، ولا تلحفوا إذا سألتم، فإن من ضيق ضيق الله عليه ومن أعطى أخلف الله له».

- وقال أبو العلاء المعري:

لا تَخْلِفَنَّ عَلَى صِدْقٍ وَلَا كَذِبٍ فما يُفِيدُكَ إِلَّا الْمَائِمَ الْحَلِيفُ

- وقال:

لا تَفْرَحَنَّ بِمَا بَلَغْتَ مِنَ الْعُلَا وإذا سَبَقَتْ فَعَنْ قَلِيلٍ تُسَبِّقُ
وَلِيَحْذَرْ الدَّعْوَى اللَّيْبُ، فَإِنَّهَا لِلْفَضْلِ مَهْلَكَةٌ وَخَطْبُ مُوبِقُ

- وقال أبو العتاهية:

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعٍ عَيْنِي فلم يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا التَّحِبُ
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فأخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٦ .

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩ .

- وقال:

يا صاحب الدنيا المحب لها أنت الذي لا ينقضي تعبُه

- وقال:

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله مَنْ نالها
من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها

- وقال الشاعر:

أراك تُؤمل حُسن الشئ ولم يرزق الله ذاك البخلا
وكيف يسود أخو فطنة يَمُن كثيراً ويُعطي قليلا

- وقال سعيد بن حميد:

وأراك تكلف بالعتاب ووُدُنَا صافٍ عليه من الوفاء دليلُ
ولعل أيام الحياة قصيرة فعلام يكثُر عَثْبُنَا ويطولُ؟

أسئلة يطلب أجوبتها

- عرّف التمني، واذكر ألفاظه.
- بين الفرق بين التمني والترجي، واذكر ألفاظ ثانيهما.
- بين النداء، واذكر أدواته، وقسمها من حيث الاستعمال.
- متى يُنزل القريب منزلة البعيد، وبالعكس؟
- بين المعاني المجازية التي تستفاد من ألفاظ النداء.
- بين الأغراض الداعية لإيثار الخبر في مقام الإنشاء.
- لم يوضع الإنشاء موضع الخبر.

تطبيق عام على الباب الثاني

- أنا الذائد الحامي الذمار، وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي
الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بها الفخر
وإظهار الشجاعة. المسند إليه (أنا)، والمسند (الذائد). والجملة الثانية:
خبرية فعلية من الضرب الثاني لما فيها من التوكيد بـ «إنما». والمراد بها
الفخر وإظهار الشجاعة أيضاً. المسند (يدافع)، والمسند إليه (أنا).

- ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(١): جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ. المسند إليه (رب)، والمسند (ظلام).
- أنت خرجت عن حدك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ. المسند إليه (أنت)، والمسند جملة (خرجت).
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾^(٢): جملة (رب) إنشائية ندائية، والمراد بها الدعاء. المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة. وجملة «إن قومي كذبون» خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد إظهار التحسر. المسند إليه (قومي)، والمسند جملة (كذبون).
- زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار الفرح. المسند إليه (الغيث) والمسند (زار). وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.
- ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار الشماتة بمدير. المسند (ذهب)، والمسند إليه (الحزن). وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.
- قابلت الأمير: جملة خبرية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار السرور. المسند (قابل)، والمسند إليه (التاء).
- أنا ممتثل لأمرك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار التواضع. المسند إليه (أنا)، والمسند (ممتثل). وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا﴾^(٣): جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس. المسند إليه (لفظ الجلالة)، والمسند جملة (لا يظلم).
- وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد. والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ١١٧ .

(٣) سورة يونس، الآية ٤٤ .

- ما جاءنا من أحد: جملةٌ خبريةٌ فعليةٌ من الضرب الثالث، والمرادُ بها فائدةُ الخبر. المسند (جاء)، والمسند إليه (أحد). وأتى بها فعليةٌ لما تقدّم.

- أنتَ نجحتَ: جملةٌ خبريةٌ اسميةٌ من الضرب الثالث لما فيها من تقويةِ الحُكم بتكرار الإسناد، والمرادُ بها لازمُ الفائدة. المسند إليه (أنت)، والمسند جملةٌ (نجحت).

- حضرَ الأميرُ: جملةٌ خبريةٌ فعليةٌ من الضرب الابتدائي، والمرادُ بها أصلُ الفائدة. المسند (حضر)، المسند إليه (الأمير).

- سيحرمُ المقصّرُ: جملةٌ خبريةٌ فعليةٌ من الضرب الابتدائي، والمرادُ بها الذم. المسند (سيحرم)، والمسند إليه (المقصّر). وهي تفيدُ الاستمرارَ التجديدي بقرينةِ الذم.

- ما برحَ المقصّرُ نادماً: جملةٌ خبريةٌ اسميةٌ من الضرب الابتدائي، والمرادُ بها الذم. المسند إليه (المقصّر)، والمسند (نادماً). وهي مفيدةٌ للاستمرار بقرينة (ما برح).

- كلما جئتني أكرمتك: جملةٌ (أكرمتك) خبريةٌ فعليةٌ من الضرب الابتدائي. وهي الجملة وما قبلها قيدٌ لها، لأن الشرطية لا تُعتبر إلا بجوابها. المسند (أكرم)، والمسند إليه (التاء). وهي مفيدةٌ للاستمرار التجديدي بقرينة (كلما).

- ما مجتهدُ صاحبك: جملةٌ خبريةٌ فعليةٌ من الضرب الابتدائي، ولا يقال: اسميةٌ لأنَّ الاسمَ حلَّ محلِّ الفعل. ولذلك رفعَ ما بعده على أنه فاعله. والمرادُ بها الاستمرارُ بقرينةِ الذم، المسند (مجتهد)، والمسند إليه (صاحبك). وقس عليها.

- نحو: ما مَبْغُوضٌ أنت، وما حَسَنٌ فعلُ أعدائك، وأقائمُ أخواك؟ وهل منصفُ أصحابك؟

- كلما ذاكِرُ المجتهدُ استفاد: جملةٌ (استفاد) فعليةٌ خبريةٌ من الضرب الابتدائي. المسند (استفاد)، والمسند إليه (هو). وهي مفيدةٌ للاستمرار التجديدي بقرينة (كلما).

- الشمس طالعة: تقولها للعائر. جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه (الشمس)، والمسند (طالعة). والمراد بها التويخ.
- الكريم محبوب: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه (الكريم)، والمسند (محبوب). والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.
- من يسافر؟: جملة إنشائية استفهامية. المسند إليه (من)، والمسند جملة (يسافر).
- التفتوا: جملة إنشائية أمرية. المسند (التفت)، والمسند إليه (الواو).
- لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهية. المسند (ترك)، والمسند إليه (الواو).
- ليت البخيل يجود: جملة إنشائية تمنية اسمية، المسند إليه (البخيل)، والمسند جملة (يجود).
- هل فهتم؟: جملة إنشائية استفهامية. المسند (فهم)، والمسند إليه (التاء).
- يا تلاميذ: جملة إنشائية ندائية. المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما: أَدْعُو. نَابَتْ عَنْهُمَا (يا).
- ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١): الهمزة الداخلة على لفظ (أغير) ليست للاستفهام الحقيقي، بل هي للإنكار الذي لم يقع على أنه ينبغي رباً، ولكنه وقع على أن يكون المبغي رباً غير الله.

* * *

الباب الثالث

في أحوال المسند إليه

المسند إليه: هو المبتدأ الذي له خبرٌ، والفاعلُ، ونائبه، وأسماء النواسخ.

وأحواله هي: الذكرُ، والحذف، والتعريف، والتثنية، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وفي هذا الباب عدة مباحث:

المبحث الأول

في ذكر المسند إليه

كلُّ لفظ يدلُّ على معنى في الكلام خَلِيقٌ طَبْعاً بالذكر، لتأدية المعنى المراد به. فلهذا يُذكرُ المُسندُ إليه وجوباً. حيث إنَّ ذكره هو الأصل. ولا مقتضى للحذف، لعدم قرينة تدلُّ عليه عند حذفه، وإلا كان الكلام مُعْمًى مُبهماً، لا يستبينُ المرادُ منه.

وقد يترجَّحُ الذكرُ مع وجود قرينة تمكِّنُ من الحذف، حين لا يكونُ منه مانعٌ. فمن مرجحات الذكر^(١):

١ - زيادةُ التقرير والإيضاح للسامع، كقوله تعالى^(٢): ﴿أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، وكقول الشاعر:

(١) بيانُ ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدلُّ على ما يراؤ حذفه، أو وجدت قرينة ضعيفة غيرُ مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف، فلا بدَّ من الذكر جرياً على الأصل. وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكِّنُ من (الحذف)، وذلك لأغراض مختلفة، ترجعُ إلى أساليب البلغاء. فتجدُّهم قد ذكروا أحياناً ما يجوزُ أن يُستغنى عنه، وحذفوا ما لا يوجدُ مانع من ذكره، فرجحوا الذكرَ أحياناً والحذفَ أحياناً، لأسبابٍ بلاغية اقتضت ذلك.

(٢) سورة البقرة، الآية ٥.

(٣) الشاهد في ﴿أَوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حيث كثر اسم الإشارة المسندُ إليه للتقرير والإيضاح تنبيهاً على أنهم كما بُنيت لهم الأثرة والميزة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً.

القسم الأول/ الباب الثالث في أحوال المسند إليه ١٠٩

هو الشمس في العليا، هو الدهر في السُّطَا هو البدر في النّادي، هو البحر في النّدى

٢ - قَلَّةُ الثقة بالقرينة، لضعفها أو ضعف فهم السامع. نحو: سعدٌ نِعَمَ الزَّعيمِ. تقولُ ذلك إذا سَبَقَ لك ذكْرُ سعد، وطالَ عهدُ السامع به، أو ذُكر معه كلامٌ في شأنٍ غيره.

٣ - الرَّدُّ على المخاطب، نحو: الله واحدٌ، ردّاً على مَنْ قال: الله ثالثٌ ثلاثة.

٤ - التلذُّذ، نحو: الله ربّي، الله حبي.

٥ - التعريضُ بغباوة السامع، نحو: سعيدٌ قال كذا. في جواب: ماذا قال سعيدٌ؟

٦ - التّسجيلُ على السامع،^(١) حتّى لا يتأتّى له الإنكارُ كما إذا قالَ الحاكمُ لشاهدٍ: هل أقرّ زيدٌ هذ بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهدُ: نَعَمْ زيدٌ هذا أقرّ بأنّ عليه كذا.^(٢)

٧ - التّعجب، إذا كان الحكمُ غريباً، نحو: عليّ يقاومُ الأسدَ. في جوابِ مَنْ قال: هل عليّ يقاومُ الأسدَ؟

٨ - التعظيم، نحو حضرَ سيفُ الدولة. في جوابِ مَنْ قال: هل حضر الأميرُ؟

٩ - الإهانة، نحو: السّارقُ قادمٌ. في جوابِ مَنْ قال: هل حضرَ السّارقُ؟

المبحث الثاني

في حذفِ المُسندِ إليه

الحذفُ خلافُ الأصل، ويكونُ لمجرّد الاختصارِ والاحترازِ عن العبثِ بناءً على وجودِ قرينةٍ تدلُّ على المحذوف. وهو قسمان:

(١) أي: كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

(٢) فيذكرُ المُسندُ إليه لثلاثي جَدِّ المشهودِّ عليه سبباً للإنكار بأن يقولَ للحاكم عند التسجيل: إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري فأجاب: ولذلك لم أنكر، ولم أطلب الإعذار فيه.

أ - قسمٌ يظهرُ فيه المحذوفُ عندَ الإعرابِ، كقولهم: أهلاً وسهلاً. فإنَّ نصْبَهُما يَدُلُّ على ناصِبٍ محذوفٍ يُقدَّرُ بنحو: جئتُ أهلاً ونزلتُ مكاناً سهلاً. وليس هذا القسمُ منَ البلاغةِ في شيءٍ.

ب - وقسمٌ لا يظهرُ فيه المحذوفُ عندَ الإعرابِ، وإنما تعلَّم مكانه إذا أنتَ تصفَّحتَ المعنى ووجدته لا يتِمُّ إلا بمراعاته. نحو: يُعطي ويمنَّع، أي يُعطي من يشاء، ويمنَّع من يشاء. ولكن لا سبيلَ إلى إظهارِ ذلك المحذوفِ. ولو أنتَ أظهرته زالتِ البهجةُ، وضاعَ ذلك الرَوْنَقُ^(١).

ومن دواعي الحذف: إذا دلَّت عليه قرينةٌ، وتعلَّق بتركه غرضٌ من الأغراض الآتية:

١ - ظهوره بدلائلِ القرائنِ عليه، نحو: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٢). أي: أنا عجوز.

٢ - إخفاء الأمر عن غيرِ المُخاطَبِ، نحو: أقبل. «تريدُ عليّاً مثلاً».

٣ - تيسُّر الإنكار إنْ مسَّت إليه الحاجةُ، نحو: لئيمٌ خيس، بعد ذكر شخصٍ لا تذكر اسمه ليتأتى لك عند الحاجة أن تقول: ما أردته ولا قصدته.

٤ - الحذرُ من فواتِ فرصةٍ سانحةٍ، كقول مُنَبِّه الصياد: غزال! أي: هذا غزال.

٥ - اختبارُ تنبُّه السامع له عند القرينة، أو مقدارَ تنبُّهه، نحو: نوره مستفادٌ من نور الشمس. أو هو واسطة عقد الكواكب - أي القمر - في كلِّ من المثالين.

(١) وفي هذا القسم تظهرُ دقائق البلاغة ومكنونُ سرِّها ورائعُ أساليبها. ولهذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف: «هو بابٌ دقيقُ الملك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى فيه تركَ الذكرِ أفصحَ من الذكرِ، والصمتُ عن الإفاضة أزيدُ للإفاضة. وتجذُّك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأنتم ما تكونون بياناً إذا لم تُبين. وهذه جملةٌ قد تنكرها حتى تُخبر، وتدفعها حتى تنتظر». والأصلُ في جميع المحذوفات على اختلافِ ظروفها أن يكونَ في الكلام ما يدلُّ عليها، وإلا كان الحذفُ تعميةً وإلغازاً لا يُصارُ إليه بحال. ومن شرطِ حُسْنِ الحذفِ أنه متى ظهرَ المحذوفُ زالَ ما كان في الكلام من البهجةِ والطلاوة، وصارَ إلى شيءٍ غث لا تناسبُ بينه وبين ما كان عليه أولاً. والقرينةُ شرطٌ في صحة الحذف إذا اقترن بها غرضٌ من الأغراض المذكورة.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٢٩.

- ٦ - ضيقُ المقام عن إطالة الكلام بسببِ تَضَجُّرٍ وتَوَجُّعٍ. كقوله:
 قَالَ لي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ^(١)
 ٧ - المحافظة على السَّجْع، نحو: «مَنْ طابَتْ سِريرَتُهُ، حُمِدَتْ سِريرَتُهُ»^(٢).

- ٨ - المحافظة على قافيةٍ، كقوله:
 وما المَالُ والأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ ولا بَدْ يَوْمًا أن تُرَدَّ الودائعُ^(٣)
 ٩ - المحافظة على وزنٍ، كقوله:
 على أَنِّي راضٍ بأنْ أَحْمَلَ الهَوَى وأَخْلَصَ مِنْهُ لا عَلَيَّ ولا لِيَا^(٤)
 ١٠ - كَوْنُ المسند إليه معيَّنًا معلومًا حقيقةً، نحو: «عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»^(٥). أي: الله. أو معلومًا ادِّعاءً، نحو: وهَابَ الْأُلُوفُ. أي: فلان.

- ١١ - اتِّبَاعُ الاستعمالِ الواردِ على تركه،^(٦) نحو: «رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ» أي: هذه رمية. ونحو: نِعَمَ الزَّعِيمُ سَعْدٌ، أي: هو سعدٌ.
 ١٢ - إِشْعَارُ أَنْ فِي تَرْكِهِ تَطْهِيرًا لَهُ عَنْ لِسَانِكَ، أو تَطْهِيرًا لِلْسَّانِكِ عَنْهُ. مثال الأول: (مُقَرَّرٌ لِلشَّرَائِعِ، مُوَضَّحٌ لِلدَّلَائِلِ) تريدُ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ. ومثالُ الثاني: «صُمِّمَ بِكُمْ عُنَى»^(٧).
 ١٣ - تَكثِيرُ الفَائِدَةِ، نحو: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»^(٨). أي: فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ.

(١) أي لم يقل: أنا عَلِيلٌ لضيقِ المقام بسببِ الضجرِ الحاصل له من الضنى.
 (٢) أي لم يقل: حمدُ النَّاسِ سِريرَتُهُ. للمحافظة على السجعِ المستلزم رفعِ الثانية.
 (٣) فلو قيل: أن يَرُدَّ النَّاسُ الودائعَ، لاختلَفَتِ القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.
 (٤) أي: لا عَلَيَّ شَيْءٍ، ولا لِي شَيْءٍ.
 (٥) سورة الأنعام، الآية ٧٣.
 (٦) وكذا أيضاً الوارد على تركِ نظائره مثل الرفع على المدح، نحو: مررتُ بزيدِ الهُمَامِ. وعلى الذم، نحو: رأيتُ بكَراً اللَّثِيمِ. وعلى الترحُّم، مثل: تَرَفَّقَ بِخَالِدِ الْمَسْكِينِ.
 (٧) سورة البقرة، الآية ١٨.
 (٨) سورة يوسف، الآية ١٨.

١٤ - تَعَيَّنَ بالعهدية، نحو: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(١)^(٢). أي السفينة.
ونحو: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٣) أي الشمس.

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبي. فهو الذي يُوحى إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان.

تدريب

يَبَيِّنْ أسبابَ ذكرٍ وحذفِ المسندِ إليه في الأمثلة الآتية:

- ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٤).
- الرئيسُ كلمني في أمرك، والرئيسُ أمرني بمقابلتك^(٥). الأميرُ نشرَ المعارفَ، وأمنَ المخاوفَ^(٦). مُحْتَالٌ مراوَعٌ^(٧). مُنْضِجَةٌ للزَّرْعِ، مُضْلِحَةٌ للهواءِ^(٨).

- فَعَبَّاسٌ يَصُدُّ الْخَطْبَ عَنَّا وَعَبَّاسٌ يَجِيرُ مَنَ اسْتَجَارَا
- ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾^(٩). مَقَرَّرٌ لِلشَّرَائِعِ مُوَضَّحٌ لِلدَّلَائِلِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٠)^(١١).

- وَإِنِّي مِّنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
- أَنَا مَصْدَرُ الْكَلِمِ الْبَوَادِي بَيْنَ الْمَحَاضِرِ وَالتَّوَادِي
- أَنَا فَارِسٌ أَنَا شَاعِرٌ فِي كُلِّ مِلْحَمَةٍ وَنَادِي
- إِنْ حُلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قِنْصَرٌ أَوْ حُلَّ فِي عُزْبٍ فَفِيهَا تُبْعُ

(١) قيل: الجودي هو الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح. وهي معهودة في الكلام السابق في قوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ [يُعِينُنَا] [هود: ٣٧]، إلخ.

(٢) سورة هود، الآية ٤٤.

(٣) سورة ص، الآية ٣٢.

(٤) سورة الجن، الآية ١٠.

(٥) تخاطب غيباً.

(٦) جواباً لمن سأل: ما فعل الأمير؟

(٧) بعد ذكر إنسان.

(٨) تعني الشمس.

(٩) سورة الأعلى، الآية ٢.

(١٠) أي لو شاء هدايتكم.

(١١) سورة النحل، الآية ٩.

- تُسألني: ما الحب؟ قلت: عواطف منوعة الأجناس موطئها القلب

تطبيق

وضّح دواعي الحذف في التراكيب الآتية:

- ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم
- أما والذي أبكى وأضحك، والذي
١ - لَسِنٌ إذا صَعِدَ المنابرَ أو نَضا
٢ - عَلِيلُ الجِسمِ ممتنعُ القيامِ
٣ - أحجاجُ لا يَفْلُلُ سلاحك إنما الـ
٤ - حريصٌ على الدنيا مُضِيعٌ لدينه
٥ - وإني رأيتُ البُخلَ يُزري بأهله
٦ - لو شئتَ لم تُفِيدَ سماحةَ حاتم
٧ - برّذ حشاي^(٣) إن استطعتَ بلفظةٍ
٨ - نجوم^(٤) سماءٍ كلما غارَ كوكبٌ
- أحْكُمُ في أموالِهم وأقربُ
أما وأخيا والذي أمره الأمرُ
قَلَمًا شأى الخطباءَ والكتّاب^(١)
شديدُ السكرِ من غيرِ المُدام
منايا بكفّ الله حيثُ تراها^(٢)
وليسَ لما في بيته بمُضيع
فأكرمتُ نفسي أن يُقالَ: بخيلٌ
كرمًا ولم تَهدمَ مآثرَ خالدٍ
فلقد تضرُّ إذا تشاء وتنفعُ
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه

(١) نضا بمعنى جرد. شأى: سبق.

(٢) فلول السيف: كسور في حده.

(٣) الحشا: ما انطوت عليه الضلوع.

(٤) أي: هؤلاء نجوم.

الرقم	المحذوف	السبب
١-	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام
٢-	المسند إليه	المدح
٣-	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
	المسند إليه	العلم به
٤-	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥-	المسند إليه	العلم به
٦-	المفعول	البيان بعد الإبهام
٧-	المفعول	عدم تعلق الغرض به
		تنزيل المتعدي منزلة اللازم
٨-	المسند إليه	ادعاء تعيينه في مقام المدح

- وقد علمَ القبائلُ من مَعَدٍّ إذا قَبَبَ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بأَنَا المَطْعَمُونَ إذا قَدَرْنَا وَأَنَا المَهْلِكُونَ إذا ابْثُلْنَا
وَأَنَا المَانِعُونَ لما أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَا التَّارِكُونَ إذا سَخِطْنَا وَأَنَا الآخِذُونَ إذا رَضِينَا
- «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، «أنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخر»، خلاقٌ لما يشاءُ. الحمدُ لله الحميد. لا تُخاطَبُ الصَّفِيَّةُ اللثيم، وأحسن إلى الفقير المسكين.
- حَيُّوا العُرُوبَةَ في عُلَيَّا مرَاتِبِهَا وخَيْرِ فُرْسَانِهَا شَيْباً وشُبَّانَا

المبحث الثالث

في تعريف المسند إليه

حقُّ المسند إليه أن يكونَ معرفةً؛ لأنَّه المحكومُ عليه الذي يَنْبَغِي أن يكونَ معلوماً، ليكونَ الحكمُ مفيداً.

وتعريفه^(١) إمَّا بالإضمار، وإمَّا بالعلمية، وإمَّا بالإشارة، وإمَّا بالموصلية، وإمَّا بآل، وإمَّا بالإضافة، وإمَّا بالنداء.

المبحث الرابع

في تعريف المسند إليه بالإضمار

يؤتى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:

- (١) اعلم أنَّ كلاً من المعرفة والنكرة يدلُّ على معين، وإلا امتنع الفهم. إلا أنَّ الفرقَ بينهما أن النكرة يفهم منها ذات المعين فقط. ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع. وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين، ويفهم منها كونه معلوماً للسامع لدلالة اللفظ على التعيين. والتعيين فيها إمَّا بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العلم. وإمَّا بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر. وإمَّا بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة. وإمَّا بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة. وإمَّا بحرف وهو المعرفُ بآل والنداء. وإمَّا بالإضافة معنوية، وهو المضاف إلى واحدٍ مما ذكر، ما عدا المنادى.
- واعلم أنه قدَّم ذكرَ الإضمار لأنه أعرفُ المعارف. وأصلُ الخطاب أن يكونَ لمعين، وقد يستعملُ أحياناً دونَ أن يُقصدَ به مخاطبٌ معينٌ كقول المتنبي:
- إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكته وإن أنتَ أكرمتَ اللثيمَ تمردا
- أخرجَ الكلامَ هنا في صورةِ الخطابِ ليقيدَ العموم.

١ - لكون الحديث في مقام «التكلم» كقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

٢ - أو لكون الحديث في مقام «الخطاب» كقول الشاعر:
وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

٣ - أو لكون الحديث في مقام «الغيبة»، ولكون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقرينة، نحو: الله تبارك وتعالى. ولا بد من تقدم ذكره:

أ - إما لفظاً، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

ب - وإما معنى، نحو: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾^(٢) أي: الرجوع. ونحو: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣) أي: العدل.

ج - أو دللت عليه قرينة حال، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾^(٤) أي: الميت.

تنبيهات

الأول: الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين. نحو: أنت استرفقتني بإحسانك. وقد يُخاطَبُ:

أ - غير المشاهد إذا كان مُتَحَضِّراً في القلب، نحو: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾^(٥)، ونحو:

جُودِي بِقُرْبِكَ أَبْلُغْ كُلَّ أَمْنِيَّتِي أَنْتَ الْحَيَاءُ وَأَنْتَ الْكَوْنُ أَجْمَعُ

ب - وغير المعين إذا قُصِدَ تعميم الخطاب لكل من يُمكن خطابه على سبيل البدل، لا التناول دفعة واحدة، كقول المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَزَّدَا

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٧.

(٢) سورة النور، الآية ٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

الثاني: الأصل في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره. وقد يُعدل عن هذا الأصل، فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة:

أ - منها تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتثوقه إليه كقوله:
هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾^(١)، ونعم رجلاً عليّ. فالفاعل ضمير يفسره التمييز. ويطرّد ذلك في باب نعم وبش، وفي باب ضمير الشأن، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢).

ب - ومنها ادعاء أنّ مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، نحو:
أقبل وعليه الهيبة والوقار، ونحو قول الشاعر:
أبت الوصال مخافة الرقباء وأتشت تحت مدارع الظلماء
ويسمى هذا العدول بالإضمار في مقام الإظهار.

الثالث: يوضع الظاهر سواء أكان علماً، أو صفةً، أو اسم إشارة، موضع الضمير، لأغراض كثيرة، منها:

١ - إلقاء المهابة في نفس السامع، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا.

٢ - وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٣).

٣ - ومنها التلذذ، كقول الشاعر:

سقى الله نجداً والسلام على نجدٍ ويا حبذا نجدٌ على القرب والبعد

٤ - الاستعطاف، نحو: اللهم عبدك يسألك المغفرة. أي أنا أسألك. ويسمى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار.

(١) سورة الحج، الآية ٤٦ .

(٢) سورة الإخلاص، الآية ١ .

(٣) سورة الكهف، الآية ٣٨ .

المبحث الخامس

في تعريف المسند إليه بالعلمية

يُؤْتَى بالمسند إليه علماً لإحضار معناه في ذهن السامع، ابتداءً باسمه الخاص ليمتاز عما عداه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(١).

وقد يقصد به مع هذا أغراض أخرى تُناسبُ المقام:

١ - كالمدح في الألقاب التي تُشعرُ بذلك، نحو: جاء نصرٌ، وحضرُ صلاحُ الدين.

٢ - والذم والإهانة، نحو: جاء صخرٌ، وذهب تأبط شراً.

٣ - والتفاؤل، نحو: جاء سرور.

٤ - والتشاؤم، نحو: حربٌ في البلد.

٥ - والتبرُّك، نحو: الله أكرمني. في جواب: هل أكرمك الله؟

٦ - والتلذذ، كقول الشاعر:

بالله يا ظبياتِ القاعِ قُلْنَ لَنَا: لِيَلَايَ مِنْكَ أَمَ لَيْلَى مِنْ الْبَشْرِ؟

٧ - والكناية عن معنى يضلح العلمُ لذلك المعنى، بحسب معناه الأصلي قبل العلمية، نحو: أبو لهبٍ فعل كذا.. كناية عن كونه جَهَنَّمِيًّا؛ لأنَّ اللَّهَبَ الحقيقي هو لهبُ جهنم، فيصحُّ أن يلاحظ فيه ذلك.

المبحث السادس

في تعريف المسند إليه بالإشارة

يُؤْتَى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعيَّن طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا مُعيّناً آخر، كقولك: أتبيعُ لي هذا؟ مُشيراً إلى شيء لا تعرفُ له اسماً، ولا وصفاً.

أما إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك، فيكونُ لأغراضٍ أخرى:

- أ - بيان حاله في القُرب، نحو: هذه بضاعتنا.
- ب - بيان حاله في التوسط، نحو: ذاك ولدي.
- ج - بيان حاله في البُعد، نحو: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾^(١).
- ١ - تعظيمُ درجته بالقرب، نحو: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢). أو تعظيمُ درجته بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣).
- ٢ - أو التحقيرُ بالقُرب، نحو: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٤). أو التحقيرُ بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾^(٥).
- ٣ - وإظهارُ الاستغراب، كقول الشاعر:
- كم عاقلٍ عاقلٍ أغيتَ مَذهبُهُ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مَززوقا!
- هذا الذي تركَ الأوهامَ حائرةً وصيرَ العالمَ النحريرَ^(٦) زنديقا
- ٤ - وكمالُ العناية وتمييزُهُ أكملُ تمييز، كقول الفرزدق:
- هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطائهُ والبيتُ يعرفُهُ والحِجْلُ والحَرَمُ
- ونحو قوله: هذا أبو الصقرِ فرداً في محاسنِهِ.
- ٥ - والتعريضُ بغاوةِ المخاطب، حتى كأنه لا يفهمُ غيرَ المحسوس، نحو:
- أولئك آبائي فجئني بمثلِهِم إذا جمَعْنَا يا جَرِيرُ المجامعُ
- ٦ - والتنبيه على أن المشار إليه المُعقَّبُ بأوصافٍ، جديرٌ لأجل تلك الأوصافِ بما يُذكرُ بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٧) ^(٨).

(١) سورة ق، الآية ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣ .

(٥) سورة الماعون، الآية ٢ .

(٦) الفطن، الخبير بيوطن الأمور.

(٧) أي فليُشارَ إليه بأولئك «هم المتقون». وقد ذكر عقبه أوصافُ هي الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة وما بعدهما. ثم أتى بالمسندِ إليه اسم إشارة وهو «أولئك» تنبيهاً على أن المشار =

وكثيراً ما يُشارُ إلى القريب غير المُشاهد بإشارة البعيد، تنزيلاً للبعد عن العيان، مترلة البعد عن المكان نحو: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(١).

المبحث السابع

في تعريف المسند إليه بالموصولية

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول، إذا تعيّن طريقاً لإحضار معناه، كقولك: الذي كان معنا أمس سافر. إذا لم تكن تعرف اسمه. أمّا إذا لم يتعيّن طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى:

١ - منها التشويق، وذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكماً غريباً، كقوله:

والذي حازت البرية فيه حيوانٌ مُستحدثٌ من جمادٍ^(٢)

٢ - ومنها إخفاء الأمر عن غير المخاطب، كقول الشاعر:

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

٣ - ومنها التنبيه على خطأ المخاطب، نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْأَلُكُمْ﴾^(٣)، وكقول الشاعر:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانُكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صَدْرِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا^(٤)

٤ - ومنها التنبيه على خطأ غير المخاطب، كقوله:

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَّهَا خَلَقْتَ هَوَاكَ كَمَا خَلَقْتَ هَوَى لَهَا

٥ - ومنها تعظيم شأن المحكوم به، كقول الشاعر:

= إليهم جديرون وأحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً، والفوز بالفلاح أجلاً.

(٨) سورة البقرة، الآية ٥ .

(١) سورة الكهف، الآية ٨٢ .

(٢) يعني تحيرت البرية في المعاد الجسماني .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٤ .

(٤) أي: مَنْ تظنون إخوتهم يُحبون دمازكم فأنتم مخطئون في هذا الظن، ولا يُفهم هذا المعنى (لو قيل: إن قوم كذا يشفي إلخ).

- إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(١)
- ٦ - ومنها التهويل تعظيماً أو تحقيراً، نحو: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٢) (٣). ونحو: مَنْ لَمْ يَذَرِ حَقِيقَةَ الْحَالِ قَالَ مَا قَالَ.
- ٧ - ومنها استهجان التصريح بالاسم، نحو: الَّذِي رَبَّانِي أَبِي^(٤).
- ٨ - ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٥).
- ٩ - ومنها التوبيخ، نحو: الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْكَ قَدْ أَسَاءَتْ إِلَيْهِ.
- ١٠ - ومنها الاستغراق، نحو: الَّذِينَ يَأْتُونَكَ أَكْرَمَهُمْ.
- ١١ - ومنها الإبهام، نحو: لِكُلِّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ.
- واعلم أَنَّ التعريف بالموصولية مَبْحَثٌ دَقِيقُ الْمَسَلِكِ، غَرِيبُ التَّرْعَةِ. يُوقِفُكَ عَلَى دَقَائِقَ مِنَ الْبَلَاغَةِ، تَوْنِسُكَ إِذَا أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَيْهَا بِثَاقِبِ فِكْرِكَ، وَتُثَلِّجُ صَدْرَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا بِصَادِقِ رَأْيِكَ. فَاسْرَأُ وَلَطَائِفُ التَّعْرِيفِ بِالْمَوْصُولِيَّةِ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهَا. وَاعْتَبِرْ فِي كُلِّ مَقَامٍ مَا تَرَاهُ مُنَاسِباً.

المبحث الثامن

في تعريف المسند إليه بأل

يُؤْتَى بِالْمُسْنَدِ مُعَرِّفاً بِأَلِ الْعَهْدِيَّةِ أَوْ أَلِ الْجَنَسِيَّةِ لِأَغْرَاضٍ آتِيَةِ:

أَلِ الْعَهْدِيَّةِ

أَلِ الْعَهْدِيَّةِ: تَدْخُلُ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ لِلإِشَارَةِ إِلَى فَرْدٍ مَعْهُودٍ خَارِجاً بَيْنَ الْمُتَخَاطِبِينَ. وَعَهْدُهُ أَنْ يَكُونَ:

أ - إِمَّا بِتَقْدُّمِ ذِكْرِهِ «صَرِيحاً» كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَمْزَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رُسُلًا فَنَقَصْنَاهُ فِرْعَوْنُ الرَّسُولِ﴾^(٦). وَيُسَمَّى عَهْداً صَرِيحاً.

- (١) أَيِ إِنَّ مَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً مِنَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ، هُوَ أَعَزُّ وَأَقْوَى مِنْ دَعَائِمِ كُلِّ بَيْتٍ.
- (٢) أَيِ غَطَّاهُمْ وَسِتَّرَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَوْجٍ عَظِيمٍ، لَا تَحِيطُ الْعِبَارَةُ بِوَصْفِهِ.
- (٣) سُورَةُ طه، الْآيَةُ ٧٨.
- (٤) أَيِ بِأَنَّ كَانَ اسْمُهُ قَبِيحاً كَمِنْ اسْمِهِ «بُرْغُوث»، أَوْ جَحِشٌ، أَوْ بَطَّةٌ، أَوْ غَيْرُهُ.
- (٥) سُورَةُ الْحَجِّ، الْآيَةُ ٥٠.
- (٦) سُورَةُ الْمَزْمَلِ، الْآيَتَانِ ١٥ وَ ١٦.

ب - وإِما بتقديم ذكره «تلويحاً»، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾^(١). فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^(٢) ^(٣). فإنهم كانوا لا يُحرِّرون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعني بـ «ما»، ويُسمى «كنائياً».

ج - وإِما بحضوره بذاته، نحو: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤)، أو بمعرفة السامع له، نحو: هل انعقد المجلس؟ ويُسمى (عهداً حضورياً).

أل الجنسية

أل الجنسية: وتسمى (لام الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١ - للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي، بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق.

وتسمى (لام الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد، نحو: الذهب أثمن من الفضة.

٢ - أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾^(٥). ومدخولها في المعنى (كالنكرة) فيعامل مُعاملتها. وتسمى (لام العهد الذهني).

٣ - أو للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة:

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٦.

(٢) التحرير: العتق لخدمة بيت المقدس. أي، وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها. فطلبها الذكر كان بطريق الكناية في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾. فإن ذلك كان مقصوراً عندهم على الذكور. فال في «الذكر» عائدة إلى مذكر بطريق الكناية، وأل في «الأنثى» عائدة إلى مذكور صريحاً في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى﴾. فالعهد الخارجي ثلاثة أنواع: صريحي، وكنائي، وعلمي.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

(٥) سورة يوسف، الآية ١٣.

أ - بمعونة قرينة «حالية» نحو: ﴿عَلِمُوا الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ﴾^(١). أي كل غائب وشاهد.

ب - أو بمعونة قرينة «لفظية» نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٢). أي كل إنسان، بدليل الاستثناء بعده. ويُسمى «استغراقاً حقيقياً».

٤ - أو للإشارة إلى كل الأفراد مقيداً، نحو: جمع الأمير التجار وألقى عليهم نصائحه. أي جمع الأمير «تجار مملكته» لا تجار العالم أجمع. ويسمى «استغراقاً عرفياً».

تنبيهات

التنبيه الأول: علم مما تقدّم أنّ أَل التعريفية قسمان:

القسم الأول - لام العهد الخارجي، وتحتّه أنواع ثلاثة: صريحي، وكنائي، وحضوري.

والقسم الثاني - لام الجنس، وتحتّه أنواع أربعة: لام الحقيقة من حيث هي، ولام الحقيقة في ضمن فرد مبهم، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي.

التنبيه الثاني: استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى، والجمع، واسم الجمع. لأنّ المفرد يتناول كلّ واحدٍ واحدٍ من الأفراد، والمثنى إنّما يتناول كلّ اثنين اثنين. والجمع إنّما يتناول كلّ جماعة جماعة، بدليل صحة (لا رجال في الدار) إذا كان فيها رجل أو رجلان. بخلاف قولك: (لا رجل)، فإنه لا يصحّ إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها. وإنما تصحّ في النكرة المنفية دون الجمع المعروف باللام، لأنّ المعروف بلام الاستغراق يتناول كلّ واحدٍ من الأفراد نحو: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(٣). بل هو في المفرد أقوى، كما دلّ عليه الاستقراء، وصرّح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كلّ

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٣.

(٢) سورة العصر، الآية ٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٤.

ما وقع في القرآن العزيز، نحو: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَيَّيْنَ﴾^(٢)، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣)، إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم، كما في المطولات.

التنبيه الثالث: قد يُعرف الخبرُ بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسندِ المعرف وعكسه حقيقةً، نحو: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾^(٤)، ونحو: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَلَيْسَ حَيْرَ الرَّادِ الْتَقْوَى﴾^(٥)، أو ادعاءً للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو: محمد العالم، أي الكامل في العلم، أو كماله في المسند، نحو: الكرمُ التقوى، أي لا كرم إلا هي.

المبحث التاسع

في تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه مُعرفاً بالإضافة إلى شيء من المعارف السابقة، لأغراض كثيرة:

- ١ - منها أنها أخصرُ طريقٍ إلى إحضاره في ذهن السامع، نحو: جاء غلامي. فإنه أخصرُ من قولك: جاء الغلام الذي لي.
- ٢ - ومنها تعذرُ التعدد، أو تعسره، نحو: أجمع أهل الحق على كذا، وأهل مصر كرام.
- ٣ - ومنها الخروجُ من تَبِعة تقديم البعض على البعض، نحو: حضرَ أمراءُ الجند.
- ٤ - ومنها التعظيمُ للمضافِ نحو: كِتَابُ السُّلْطَانِ حَضَرَ. أو التعظيمُ للمضافِ إليه، نحو: الأميرُ تلميذي، أو غيرهما نحو: أخو الوزيرِ عندي.
- ٥ - ومنها التحقيرُ للمضافِ، نحو: ولدُ اللَّصِّ قادم. أو التحقيرُ

(١) سورة البقرة، الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣١.

(٤) سورة البروج، الآية ١٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

للمضاف إليه، نحو: رفيق زيد لص، أو غيرهما نحو: أخو اللص عند عمرو.

٦ - ومنها الاختصار لضيق المقام، لفرط الضجر والسآمة، كقول جعفر ابن غلبة وهو في السخن بمكة:

هواي مع الركب اليمانيّن مُصْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ^(١)
واعلم أنّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المصحح لأنّ يقال: «المُضاف للمضاف إليه». فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً، كما في الإضافة لأدنى ملابس، نحو: مكر الليل. وكقوله:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسخرة سهيل أذاعت غزلها في القرائب^(٢)

المبحث العاشر

في تعريف المسند إليه بالنداء^(٣)

يؤتى بالمسند إليه مُعرفاً بالنداء لأغراض كثيرة:

- ١ - منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاص، نحو: يا رجل.
- ٢ - ومنها الإشارة إلى علة ما يُطلب منه، نحو: يا تلميذ اكتب الدرس.

(١) أي: من أهواه وأحبّه ذاهب مع ركبّان الإبل، القاصدين إلى اليمن منضمّ إليهم، مقودّ معهم. وجسي مقيدّ بمكة، محبوس ومنع عن السير معهم. فلفظ «هواي» أخصر من «الذي أهواه» ونحوه.

(٢) أضاف الكوكب إلى «الخرقاء» أي المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها. لأنها لا تتذكر كُسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً في الشتاء. وتفصيل ذلك أنه يقال: إنّ المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف. فإذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في البحر، وذلك قرب الشتاء، أحسّت بالبرد، واحتاجت إلى الكسوة، ففرقت غزلها، أي قطنها وكتّانها الذي يصير غزلاً في أقاربها، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لصيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابس. وقد جعل الشاعر هذه الملابس بمنزلة الاختصاص.

(٣) اعلم أن أغلب البيانيين لم يثبت التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه. وتحقيق ذلك يُطلب من المطولات في علوم البلاغة.

المبحث الحادي عشر

في تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة، أو ادعاء، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يعينه من علم أو صلة أو نحوهما. وقد يكون لأغراض أخرى:

١ - كالتكثير،^(١) نحو: ﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) أي: رُسُلٌ كثيرون.

٢ - والتقليل، نحو: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٣)، ونحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٤).

٣ - والتعظيم والتحقير، كقول ابن أبي السَّمط: له حاجبٌ عن كلِّ أمرٍ يشيئه وليس له عن طالب العُزف حاجبٌ أي له مانعٌ عظيم. وكثيرٌ عن كلِّ عيب - وليس له مانعٌ قليل - أو حقيرٌ عن طالب الإحسان^(٥)، فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير.

٤ - وإخفاء الأمر، نحو: قال رجل: إنك انحرفتَ عن الصواب. تخفي اسمه، حتى لا يلحقه أذى.

٥ - وقصد الأفراد، نحو: ويلٌ أهونٌ من ويلين. أي ويلٌ واحدٌ أهونٌ من ويلين.

(١) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة، وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقاً، كما في قولك: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً. أو تقديرًا نحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أي قليلٌ من الرضوان أكبرٌ من كل شيء. ولاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضاً.

(٢) سورة فاطر، الآية ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧٢.

(٥) ومنه قوله:

ولله عندي جانبٌ لا أضيئه وللهو عندي والخلاعة جانبٌ
ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥].

٦ - وقصد التوعية، نحو: لكل داءٍ دواء. أي لكل نوعٍ من الداء نوعٌ من الدواء.

المبحث الثاني عشر

في تقديم المسند إليه^(١)

مرتبة المسند إليه التقديم، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه. والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً. فاستحق التقديم وضعاً. ولتقديمه دواعٍ شتى:

١ - منها تعجيل الممرّة، نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

(١) معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني. فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي. ومن البين أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة. ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير، فيكون من الحسن إذا تغيّر هذا الأصل، واتباع هذا النظام، ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه، و مترجماً عما يريد. ولا يخلو التقديم من أحوال أربع:

الأول - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القُضوى، وإليه المرجع في فنون البلاغة. والكتاب الكريم هو العمدة في هذا. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَرُ تَائِرٌ ﴿٣٦﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، تجذ أن تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني - ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو: ﴿بِكَلِّ اللَّهِ فَاتَّقِ اللَّهَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]. فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة. وأنه ينبغي ألا تكون لغيره. ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث - ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحاة كقوله: وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت بحمدٍ إلهي، وهي منه سلب فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سلب بحمدٍ إلهي.

الرابع - ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعازلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك من الأنواع التي خرجت عن الفصاحة. ومنها قول الفرزدق:

إلى ملكٍ ما أمه من مُحاربٍ أبوه ولا كانت كسلب تصاهرة فتقديره: إلى ملكٍ أبوه ما أمه من محارب. أي ما أم أبيه منهم. ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأملٍ وترثٍ ورفقٍ، حتى يفهم المراد منه.

- ٢ - ومنها تعجيل المساءة، نحو: القصاصُ حَكَمٌ به القاضي .
- ٣ - ومنها التشويقُ إلى المتأخر، إذا كان المُتَقَدِّمُ مُعْرِياً بغرابة كقول أبي العلاء المَعْرِي:

والذي حارتِ البريةُ فيه حيوانٌ مُستَحَدَثٌ من جَمادٍ^(١)
- ٤ - ومنها التلذُّذ، نحو: ليلي وصَلَّتْ، وسَلِمَى هجرت.
- ٥ - ومنها التبرُّك، نحو: اسْمُ الله اهْتِدَيْتُ به .
- ٦ - ومنها النَّصُّ على عُمومِ السَّلْبِ، أو النَّصُّ على سَلْبِ العُمومِ .
 فعمومُ السَّلْبِ يكونُ بتقديم أداة العموم^(٢) ككلُّ، وجميع على أداة النفي، نحو: كلُّ ظالمٍ لا يُفْلَحُ، المعنى: لا يُفْلَحُ أَحَدٌ من الظَّالِمَةِ . ونحو: كلُّ ذلك لم يَكُنْ، أي لم يَقَعْ هذا ولا ذاك . ونحو: كلُّ تلميذٍ لم يُقْصِرْ في واجبه . ويسمى شمول النفي .
 واعلم أن «عُمومَ السَّلْبِ» يكونُ النفيُّ فيه لكلِّ فرد . وتوضيحُ ذلك أنك إذا بدأت بلفظة «كلِّ» كنتَ قد سَلَطْتَ الكُلِّيَّةَ على النفي، وأعملتها فيه، وذلك يقضي ألا يشدَّ عنه شيء .
 و«سَلْبُ العموم» يكونُ بتقديم أداة النفي على أداة العموم . نحو: لم يَكُنْ كلُّ ذلك، لم يقع المجموع، فيحتملُ ثبوت البعض ويحتملُ نفي كلِّ فردٍ لأنَّ النفيَّ يوجِّهُ إلى الشمول خاصة، دون أصلِ الفعل . ويسمى «نفيَّ الشُّمول» .
 واعلم أن «سَلْبَ العموم» يكونُ النفيُّ فيه للمجموع غالباً كقول المُتنبِّي:

ما كلُّ رأيٍ الفتى يدعو إلى رَشَدٍ

 وقد جاءَ لعموم النفي قليلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣) . ودليلُ ذلك الذوق والاستعمال .

(١) قيل: الحيوان هو الإنسان، والجمادُ الذي خُلِقَ منه هو النطفة . وحيرةُ البرية فيه هو الاختلافُ في إعادته للحشر . وهو يريدُ أن الخلائقَ تحيرت في المعادِ الجَمَانِيِّ، يدلُّ لذلك قوله قبله:

بأنَّ أمرَ الإله واختلفَ النسا
 سُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وهادي
 بشرط أن تكونَ أداة العموم غيرَ معمولَةٍ للفعل الواقعَ بعدها كما مُثِّلَ فإن كانت معمولَةٌ للفعل بعدها، سواءً تقدمت لفظاً أو تأخرت، نحو: كلُّ ذنبٍ لم أصنع، ولم أَخْذُ كلَّ الدراهم . أفادَ الكلامُ سَلْبَ العموم ونفيَّ الشمول غالباً .
 (٣) سورة لقمان، الآية ١٨ .

٧ - ومنها إفادة التخصيص قطعاً^(١) إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي، والمسند فعلاً، نحو: ما أنا قلت هذا ولا غيري، أي: لم أقله. وهو مقولٌ لغيري.

ولذا لا يصح أن يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري، لأنَّ مفهوم (ما أنا قلت) أنه مقولٌ للغير، ومنطوق (ولا غيري) كونه غيرَ مقولٍ للغير، فيحصل التناقضُ سلباً وإيجاباً.

وإذا لم يسبق المسند إليه نفي كان تقديمه محتملاً^(٢) لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند فعلاً^(٣) نحو: أنت لا تبخل. ونحو: هو يهب الألوף. فإنَّ فيه الإسنادَ مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول، وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب في المثال الثاني.

٨ - ومنها كونُ المُتقدِّم محطَّ الإنكارِ والغرابة، كقوله:
أبعد المشيب المنقضي في الذَّوائِبِ تُحاولُ وصلَ الغانياتِ الكَواعِبِ؟
٩ - ومنها سلوكُ سبيلِ الرُّقي، نحو: هذا الكلامُ صحيحٌ، فصيحٌ،

(١) وذلك يكون في ثلاثة مواضع:

الأول: أن يكون المسند إليه معرفةً ظاهرةً بعد نفي، نحو: ما فؤادٌ فعلٌ هذا.
الثاني: أن يكون المسند إليه معرفةً مضمرةً بعد نفي، نحو: ما أنا قلت ذلك.
الثالث: أن يكون المسند إليه نكرةً بعد نفي، نحو: ما تلميذٌ حفظَ الدرس.

(٢) وذلك في ستة مواضع:

الأول: أن يكون المسند إليه معرفةً ظاهرةً قبل نفي، نحو: فؤادٌ ما قال هذا.
الثاني: أن يكون المسند إليه معرفةً ظاهرةً مثبتةً، نحو: عباسٌ أمرٌ بهذا.
الثالث: أن يكون المسند إليه معرفةً مضمرةً قبل نفي، نحو: أنا ما كتبتُ الدرس.
الرابع: أن يكون المسند إليه معرفةً مضمرةً مثبتةً، نحو: أنا حفظتُ درسي.
الخامس: أن يكون المسند إليه نكرةً قبل نفي، نحو: رجلٌ ما قال هذا.
السادس: أن يكون المسند إليه نكرةً مثبتةً، نحو: تلميذٌ حضرَ اليومَ في المدرسة. واعلم أنَّ ما ذكرناه هو مذهبُ عبد القاهر الجرجاني وهو الحقُّ، وخالفه السكاكي.

(٣) فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلاً؟ وهل إذا كان المسند وصفاً مثلاً على ضمير، نحو: أنت بخيلٌ، لم يكن كالفعل في إفادة التقوية؟

أقول: لما كان ضميرُ الوصف لا يتغيرُ تكليماً وخطاباً، وغيبةً، فهو شبيهٌ بالجوامد. وكانت تقويته قريبةً من الفعل، لا مثلها تماماً.

بليغ. فإذا قلت: «فصيح بليغ»، لا يحتاج إلى ذكر صحيح. وإذا قلت: «بليغ» لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

١٠ - ومنها مراعاة الترتيب الوجودي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١).

تمرين

ما نوع المقدم، وما فائدة التقديم في الأمثلة الآتية؟:

- قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢).

- وقال الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾^(٣).

- وقال أبو فراس:

إلى الله أشكو أننا بمنازلٍ تحكّم في آسادهن كلاب

- وقال ابن نباتة يخاطب الحسن بن محمد المهلب:

وإي همة لا تطلب المال للغنى ولكنها منك المودة تطلب

- وقال أبو نواس:

إنني انتجعت العباس ممتدحاً وسيلتي جودة وأشعاري

عن خبرة جئت لا مخاطرة وبالدلالات يهتدي الساري

- وقال الأبيوزدي:

ومن نكد الأيام أن يبلغ المني أخو اللؤم فيها والكريم يخيب

- وقال أبو الطيب المتنبي يهجو كافوراً:

من أية الطرقي يأتي مثلك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم؟

- وقال المعري:

أعندي وقد مارست كل خفية يصدق واش أو يخيب سائل؟

- وقال أيضاً:

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الروم، الآية ٤ .

(٣) سورة نوح، الآية ٢٥ .

إلى الله أشكو أنني كل ليلة
فإن كان شراً فهو لا شك واقع
- وقال أيضاً:

وكالتار الحياة، فمن رماذ
- وقال بعض الشعراء في الحث على المعروف:

يد المغرور غنم حيث كانت
ففي شكر الثكور لها جزاء
- وقال الآخر:

ألهو وأيامنا تذهب؟
- وقال محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم، وكنيته أبو إسحاق:

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها:
شمس الضحى، وأبو إسحاق، والقمر
- وقال آخر:

ثلاثة يُجهل مقدارها:
الأمْنُ والصُّحةُ والقُوتُ
فلا تُثق بالمال من غيرها
- وقال آخر يهجو بخیلاً:

أأنت تجود إن الجود طبع
- وقال آخر يتكبر أن يشرب الخمر حين دعي لشربها:

أبعد ستين قد ناهزتها حججاً
أحكم الزاح^(١) في عقلي وجسماني؟
- وقال الآخر:

غافل أنت والليالي حبالى
بصنوف الردى تروح وتغدو
- وقال ابن المعتز:

ومن عجب الأيام بغى معاشر
يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم
غضاب على سبقي إذا أنا جازيت
كأني قسمت الحظوظ فحابت!

المبحث الثالث عشر

في تأخير المسند إليه

يؤخّرُ المسند إليه إن اقتضى المقامُ تقديمَ المسند، كما سيجيء. ولا نلتمسُ دواعيَ للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمالُ يُبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

- أمير المؤمنين يأمر بكذا، جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث. المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال. المسند إليه (أمير المؤمنين) ذكر للتعظيم، وقدم لذلك. والمسند جملة (يأمر) ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد. والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند إليه (أحوال). والذكر والتقديم والتأخير (مقتضيات). والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال).

- أنت الذي أعانني، وأنت الذي سرنني، ذكر (أنت) ثانياً لزيادة التقرير والإيضاح. فزيادة التقرير والإيضاح (حال)، والتقرير (مقتضى)، والإتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال).

- سعيد يقتحم الأخطار (بعد مدحه) ذكر سعيد للتعظيم والتعجب. فالتعظيم والتعجب (حال)، والذكر (مقتضى). والإتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال).

- حضر الكريم سعد (بعد: أحضر سعد؟) ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه. فالتعظيم (حال)، والذكر (مقتضى) والإتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال).

- علي كتب الدرس (جواب: ما الذي عمل علي؟) ذكر علي للتعريض بغباوة السامع، وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً. فالتعريض والتقوية (حالان) والذكر والتقديم (مقتضيان)، والإتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحالين).

- محمود نعم التلميذ (بعد مدح كثير له) ذكر محمود لقلّة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم.

القسم الأول/ الباب الثالث في أحوال المسند إليه ١٣٣

- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(١) حُذِفَ الْمُسْنَدُ وَهُوَ (خَلَقْنَا) للعلم به .

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾^(٢) حُذِفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعِلْمِ بِهِ .

- مُعْطِي الْوَسَامَاتِ وَالرُّتَبِ، حُذِفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ ادِّعَاءَ (كَالْمُلْكِ مَثَلًا) .

- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٣) حُذِفَ مَفْعُولُ (آوَى) لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ .

- صَاحِبُكَ يَدْعُو إِلَى وَلِيمَةِ الْعَرَسِ، حُذِفَ مَفْعُولُ يَدْعُو لِلتَّعْمِيمِ بِاخْتِصَارٍ .

- لَا يُعْطَى وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، حُذِفَ الْمَفْعُولَانِ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْغَرَضِ بِهِمَا .

- أَهْيَنَ الْأَمِيرُ، حُذِفَ الْفَاعِلُ لِلْخَوْفِ عَلَيْهِ .

لِسَانُ الْفَتَى نَصَفَ، وَنَصَفَ فَوَّادُهُ^(٤)

قَدَّمَ نَصَفَ الثَّانِي لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى الْوِزْنِ .

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُذَرِّكُهُ^(٥)

قَدِمَتْ أَدَاةُ النَّفْيِ عَلَى أَدَاةِ الْعُمُومِ لِإِفَادَةِ سَلْبِ الْعُمُومِ وَنَفْيِ الشُّمُولِ .

- جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ لَا يَنْعَوْنَ فِي الشَّرِّ، قَدِمَتْ أَدَاةُ الْعُمُومِ عَلَى أَدَاةِ النَّفْيِ لِإِفَادَةِ عُمُومِ السَّلْبِ وَشُمُولِ النَّفْيِ .

- ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦) قَدِمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ لِلتَّخْصِيصِ .

- وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا

(١) سورة الزخرف، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٧ .

(٣) سورة الضحى، الآية ٦ .

(٤) تمامه: فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم .

(٥) تمامه: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .

(٦) سورة المجادلة، الآية ١٠ .

الجملة الأولى خبرية اسمية، من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر إظهارُ الفخر والشجاعة. المسند إليه نحن، ذكر لأن ذكره الأصل. وقُدِّمَ للتعظيم، وعُرف بالإضمار لكونِ المقام للتكلم مع الاختصار. والمسند (التاركون) ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

- وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي مَنْ كان فيكَ يَلومُ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه (أنت)، ذكر وقُدِّمَ لأن الأصل فيه ذلك. وعُرف بالإضمار لكونِ المقام للخطاب مع الاختصار. والمسند لفظة (الذي) وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك وعُرف بالموصولية للتعليل.

يعني أن إخلاف وعده كان سببَ الثماتة واللوم. وأما جملة (أشمت) فمعطوفة على جملة (أخلفت) ووُصِلت بها لِمَا تَقدم. وعُرف المسند إليه وهو الفاعل في (يلوم) بالإضمار لكونِ المقام للغيبة مع الاختصار.

- أبو لهب فعل كذا، جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لِمَا فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بالخبر أصلُ الفائدة لمن يجهل ذلك. المسند إليه أبو لهب. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية للكنية عن كونه جهنمياً.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ما هي أحواله؟ متى يجبُ ذكره؟ ما هي الوجوه التي ترجحُ ذكره عند وجود القرينة؟ متى يُحذف؟ ما الفرقُ بين المعرفة والنكرة؟ لِمَ يُعرَّفُ المسندُ إليه بالإضمار؟ ما هو الأصلُ في الخطاب؟ ما الأصلُ في وضع الضمير؟ هل يُقدِّمُ الضميرُ على مرجعه؟ هل الظاهرُ يوضَعُ موضعَ الضمير؟ لِمَ يُعرَّفُ المسندُ إليه بالعلمية؟ لِمَ يُعرَّفُ بالإشارة؟ لِمَ يُعرَّفُ بالموصولية؟ لِمَ يُعرَّفُ بآل؟ إلى كم تنقسم آل؟ لِمَ يُعرَّفُ بالإضافة؟ لِمَ يُعرَّفُ بالنداء؟ لأي شيء يُنكر المسند إليه؟ لِمَ يُقدِّمُ المسند إليه؟ ما الفرقُ بين عموم السلب وسلب العموم؟ لِمَ يُؤخَّرُ المسند إليه؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله^(١)

المُسند: هو الخبر، والفعلُ التام، واسمُ الفعل، والمبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر، وأخبارِ التواسخ، والمصدرُ الثائب عن الفعل. وأحواله هي: الذُكْرُ، والحذفُ، والتعريفُ، والتكثيرُ، والتقديمُ، والتأخيرُ، وغيرها.

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

في ذكرِ المسندِ أو حذفه

يُذكرُ المُسندُ للأغراضِ التي سبقت في ذكرِ المُسندِ إليه، وذلك:

١ - ككونِ ذكره هو الأصلُ، ولا مُقتضى للعدول عنه. نحو: العلمُ خيرٌ من المال.

٢ - وكضعفِ التَّعويلِ على دلالةِ القرينة، نحو: حالي مستقيمٌ ورزقي ميسورٌ، إذ لو حُذف (ميسور) لا يدلُّ عليه المذكور.

٣ - وكضعفِ تنبُّه السامع، نحو: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢). إذ لو حُذف (ثابت) رُبَّما لا يتنبَّه السامعُ لضعفِ فهمه.

٤ - وكالردِّ على المخاطب، نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣) جواباً لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٤).

(١) وإنما ذُكر المُسندُ بعد المُسندِ إليه لأنَّ المُسندَ محكومٌ به، والمُسندُ إليه محكومٌ عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعاً. فاستحقَّ ذلك الترتيبُ وضعاً. ومبحثُ (الذكر) لم يتعرَّض له كثيرٌ كأبي هلالٍ العسكري والإمام عبد القاهر ولعله يتعلق كثيراً بالنحو، لا بالبلاغة.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

(٣) سورة يس، الآية ٧٩.

(٤) سورة يس، الآية ٧٨.

وكإفادته أنه «فعل» فيفيد التجدد والحدوث، ومقيّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

٥ - أو كإفادته أنه «اسم» فيفيد الثبوت مطلقاً، نحو: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(١). فإن (يخادعون) تُفيد التجدد مرةً بعد أخرى، مُقيّداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه، كذكر (الآن - أو الغد). وقوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ تفيد الثبوت مطلقاً من غير نظرٍ إلى زمانٍ. ويُحذف المسند لأغراض كثيرة:

١ - منها إذا دلّت عليه «قرينة»، وتعلّق بتركه غرضٌ مما مرّ في حذف المسند إليه.

والقرينة:

أ - إما مذكورة، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(٢) أي: خلقهنّ الله.

ب - وإما مقدّرة، كقوله تعالى: ﴿يَسِيحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣) رجال^(٣) أي: يُسَبِّحُهُ رجالٌ. كأنه قيل: من يُسَبِّحُهُ؟

٢ - ومنها الاحتراز عن العبث، نحو: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٤) أي: ورسوله بريءٌ منهم أيضاً. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٣ - ومنها ضيقُ المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر:
نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُ مُخْتَلِفُ
أي: نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

٤ - ومنها أتباعٌ ومجاراةٌ ما جاء في استعمالاتهم الواردة عن العرب، نحو: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥). أي: لولا أنتم موجودون. وقولهم في المثل: «رميةٌ من غير رام» أي هذه رمية.

(١) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٥.

(٣) سورة النور، الآية ٣٦ و٣٧.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣.

(٥) سورة سبأ، الآية ٣١.

تمرين

- عَيْنَ أسبابِ الحذفِ ونوعِ المحذوفِ في الأمثلة الآتية:
- نحو: ﴿ذَلِكَ أَتَىكَ لُكُؤٌ وَآطَهُهُ اللَّهُ يَظْلَمٌ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).
- وقال عليه السلام: «علامة المؤمن ثلاث: إذا حدث صدق، وإذا وعد وفى، وإذا اتّمن لم يخن».
- وقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفئيت، أو لبست فأبلّيت، أو تصدّقت فأبقيت».
- وقال: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلس يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون».
- وقال أبو العتاهية:
- جَزَى اللّهُ عَنِّي صَالِحاً بوفائه وأضعفَ أضعافاً له في جزائه
صَدِيقٌ إِذَا مَا جِئْتُ أَبْغِيهِ حَاجَةً رَجَعْتُ بِمَا أَبْغِي، وَوَجَّهِي بِمَائِهِ
- وقال أبو نواس:
- إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابُنَا فَأَيُّ فِتْنَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ؟
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَإِنْ تُؤَلِّنِي^(٢) مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ
- وقال البُخْتَرِي يمدح الفتح بن خاقان:
- رَزَيْنَ إِذَا مَا الْقَوْمُ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ وَقَوْرٌ إِذَا مَا حَادِثُ الدَّهْرِ أَجْلَبَا^(٣)
فَتَى لَمْ يُضَيِّعْ وَجْهَ حَزْمٍ وَلَمْ يَبِثْ يُلَاحِظُ أَعْجَازَ الْأُمُورِ تَعَقُّبَا
- وقال الشاعر:
- مَنْ قَاسَ جَذَوَاكَ يَوْمًا بِالسُّخْبِ أَخْطَأَ مَذْحَكَ
السُّخْبُ تُعْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُعْطِي وَتَضْحَكُ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٢ .

(٢) تُعْطِي .

(٣) توعدهم بالشر .

- وقال المتنبي:

وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِبَاءً جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِتْسَامِ
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَضْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ

- وقال:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

- وقال أبو فراس:

لَا تَطْلُبَنَّ دُنُودًا رِ مِنْ خَلِيلٍ أَوْ مُعَاشِرِ
أَبْقَى لِأَسْبَابِ الْمَوَدِّ دَةِ أَنْ تَزُورَ وَلَا تُعَاشِرِ

تدريب

عين أسباب الذكر في الأمثلة الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

- وقال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودٌ لَهَا فِي بَطْنِ خَفَانَ^(٢) أَشْبُلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنَزَلُ

- وقال السموءل بن عدياء:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْنُسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِزُّهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَأِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا^(٣) فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

- وقال بشار:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ؟

- وقال الشاعر:

(١) سورة البقرة، الآية ٧٩ .

(٢) اسم موضع .

(٣) ظلمها .

الْجِدُّ يُذْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ

تمرين

- قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١).

- وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٢) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٣) ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ (٤).

- وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦) ﴿فَسَيَسِّرُ لِّلْيسْرَى﴾ (٧) (٣).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) (٤).

المبحث الثاني

في تعريف المسند أو تنكيره

يُعرَّفُ المسند:

١ - لإفادة السامع حكماً على أمرٍ عنده بأمرٍ آخر مثله بإحدى طُرُق التعريف، نحو: هذا الخطيبُ، وذاك نقيبُ الأشراف.

٢ - لإفادة قصره على المسند إليه «حقيقة»، نحو: سعدُ الزعيم، إذا لم يكن زعيمٌ سواه، أو «ادعاء» مبالغةً لكمالٍ معناه في المسند إليه، نحو: سعدُ الوطني، أي الكاملُ الوطنية، فيخرجُ الكلامُ في صورةِ توهيمٍ أنَّ الوطنية لم توجدْ إلا فيه، لعدمِ الاعتدادِ بوطنية غيره. وذلك إذا كان المسندُ مُعرفاً بلام الجنس (٥).

(١) سورة الجن، الآية ١٠ .

(٢) سورة الضحى، الآيات من ٦ إلى ٨ .

(٣) سورة الليل، الآيات من ٥ إلى ٧ .

(٤) سورة النحل، الآية ٩٠ .

(٥) على أن التعريفَ بلام الجنس لا يفيدُ أحياناً القصرَ، كقول الخنساء:

إذا بُسِحَ البُكاءُ على قَتِيلٍ وَجَدْتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاً

فالخنساء لا تقصدُ قصرَ الجنسِ على بكاء قَتِيلها، ولكنها تريدُ أن تثبتَ له، وتخرجه من=

وَيُنَكِّرُ الْمَسْنَدُ لِعَدَمِ الْمَوْجِبِ لِتَعْرِيفِهِ، وَذَلِكَ:

- ١ - لِقَصْدِ إِرَادَةِ الْعَهْدِ، أَوْ الْحَصْرِ، نَحْوُ: أَنْتَ أَمِيرٌ، وَهُوَ وَزِيرٌ.
- ٢ - وَلَاتَّبَاعِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ فِي التَّنْكِيرِ، نَحْوُ: تَلْمِيزٌ وَقَفٌّ بِالْبَابِ.
- ٣ - وَلِإِفَادَةِ التَّفْخِيمِ، نَحْوُ: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).
- ٤ - وَلِقَصْدِ التَّحْقِيرِ، نَحْوُ: مَا خَالَدٌ رَجُلًا يُذْكَرُ.

المبحث الثالث

في تقديم المسند أو تأخيرهِ

يُقَدِّمُ الْمَسْنَدُ إِذَا وُجِدَ بَاعِثٌ عَلَى تَقْدِيمِهِ، كَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا. نَحْوُ: قَامَ عَلَيَّ. أَوْ مِمَّا لَهُ الصَّدَارَةُ فِي الْكَلَامِ، نَحْوُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ؟ أَوْ إِذَا أُرِيدَ بِهِ غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْآتِيَةِ:

- ١ - مِنْهَا التَّخْصِصُ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ، نَحْوُ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).
- ٢ - وَمِنْهَا التَّنْبِيهُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَا نَعْتَ، كَقَوْلِهِ:
لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَيْئَةُ الصُّغَرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِيعَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
فَلَوْ قِيلَ: «هِمَمٌ لَهُ» لَتَوَهَّمَ ابْتِدَاءُ كَوْنِ «لَهُ» صِفَةً لِمَا قَبْلَهُ.

٣ - وَمِنْهَا التَّشْوِيقُ لِلْمُتَأَخَّرِ، إِذَا كَانَ فِي الْمَتَقَدِّمِ مَا يُشَوِّقُ لَذِكْرِهِ، كَتَقْدِيمِ الْمَسْنَدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣). وَكَقَوْلِهِ:

- خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صِنْعَةٌ تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
- ٤ - وَمِنْهَا التَّفَاوُلُ، كَمَا تَقُولُ لِلْمَرِيضِ: فِي عَافِيَةِ أَنْتَ. وَكَقَوْلِهِ:
سَعِدْتَ بِغُرَّةٍ وَجْهِكَ الْأَيَّامُ وَتَزَيَّنْتَ بِلِقَائِكَ الْأَعْوَامُ

= جنس بكاء غيره من القتلى. فهو ليس من القصر في شيء.

(١) سورة البقرة، الآية ٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

٥ - ومنها إفادة قصر المسند إليه على المُسند، نحو: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١) أي، دِينُكُمْ مقصورٌ عليكم، ودِينِي مقصورٌ عَلَيَّ.

٦ - ومنها المَسَاءَةُ نِكايةٌ بالمُخاطب، كقول المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

٧ - ومنها تعجيلُ المسرةِ للمخاطب، أو التعجُّب، أو التَّعْظِيم، أو المدح، أو الذم، أو التَّرحُّم، أو الدُّعاء.

نحو: لله دَرَكٌ، وعَظِيمٌ أَنْتَ يَا الله. وَنِعَمَ الزَّعِيمُ سَعْدٌ... وهَلَمْ جَزَاءً.

وبئسَ الرجلُ خَلِيلٌ، وفقيرٌ أبوك، ومُباركٌ وُصولُك بالسلامة.

ويؤخِّرُ المُسْنَدُ لَأَن تَأْخِيَرَهُ هُوَ الْأَصْلُ. وتقديمُ المسندِ إليه أهمُّ، نحو: الوطنُ عزيز.

وينقسمُ المسندُ من حيثُ الإفرادُ وعدمه إلى قسمين: مفرد، وجملة.

فالمسندُ المفردُ قسمان: فعلٌ، نحو: قدَّمَ سعدٌ. واسمٌ نحو: سعدٌ قادم.

والمسندُ الجمعُ ثلاثة أنواع:

١- أن يكون سببياً، نحو: خليلٌ أبوه مُتَّصِرٌ، أو أبوه انتَصَرَ، أو انتَصَرَ أبوه.

٢ - وأن يُقَصَّدَ تخصيصُ الحكمِ بالمسندِ إليه، نحو: أنا سعيْتُ في حاجتك. أي: السَّاعي فيها أنا لا غيري.

٣ - وأن يُقَصَّدَ تأكيدُ الحكم، نحو: سعدٌ حضر. وذلك لما في الجملة من تكرارِ الإسنادِ مرتين.

ويؤتَى بالمسند ظرفاً للاختصار، نحو: خليلٌ عندك. وجازاً ومجروراً، نحو: محمودٌ في المدرسة.

تمرين

يبيِّن أسبابَ التقديم والتأخير فيما يأتي:

- ما كلُّ ما فوقَ البسيطة كافياً فإذا قنعتَ فبعضُ شيءٍ كافٍ^(٢)

(١) سورة الكافرون، الآية ٦ .

(٢) قدَّم حرفُ النفي وهو (ما) على لفظِ العموم وهو (كل) ليدلَّ على عمومِ السلب. والمعنى: لا يكفيك جميعُ ما على الأرضِ إذا كنتَ طامعاً.

- وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرَ كلَّهُ ولكنَّ شعري فيكَ من نفسه شعرٌ^(١)
- إذا شئتَ يوماً أن تسودَ عشيرةً فبالحلم سُدْ لا بالتسرُّع والشَّمْ^(٢)
- ثلاثة تُشرقُ الدنيا ببهجَتِها: شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ^(٣)
- أفي الحقُّ أن يُعطى ثلاثون شاعراً ويُحرَمَ ما دونَ الرُّضا شاعرٌ مثلي؟^(٤)
- فكيفَ وكلُّ ليس يعدو حِمَامَهُ وما لاميٍّ عَمَّا قَضَى اللهُ مرَحَلُ^(٥)
- وقال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦) ^(٧).
- بكِ اقتدتِ الأيامُ في حَسَنَاتِها وشيَمَتُها لولاكَ هَمٌّ وتكريبُ^(٨)

تطبيق عام على أحوال المسند

- لَمَّا صَدَّاتُ مَرَاةَ الْجَنَانِ، قَصَدْتُ لَجَلَائِهَا بَعْضَ الْجِنَانِ.
- الجملة الشرطية لا تُعتبر إلا بجوابها وهو (قصدت). وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمرادُ بها أصلُ الفائدة، المسندُ (قصد)، ذُكر لأنَّ

(١) إذا كان المسندُ فعلاً مَنْفِيّاً وَوَسَطَ المسندُ إليه بينَ الفعلِ وحرفِ النفي كما في هذا المثالِ وهو: ما أنا قلتُ، دلَّ ذلك على التخصيص. والمعنى: لسْتُ القائلُ لذلك الشعرِ وحدي، بل شاركني فيه غيري. ولذلك يعدُّ من الخطأ الذي لا يستقيمُ معه معنى، أن تقولَ: ما أنا فعلتُ هذا، ولا غيري. لأنَّ معنى: ما أنا فعلتُ، يفيدُ من نفسه نفيَ الفعلِ عنك، وثبوته لغيرك. فقولك: ولا غيري، يكونُ تناقضاً كما سبقَ بيانه.

(٢) قَدَمَ الجارِّ والمجرور في قوله: (بالحلم سد)، ليدلَّ على التخصيص. أي إنك تسودُ بالحلم لا بغيره. وكذا إذا تقدَّم الظرفُ، وما أشبههما، مما رتبته التأخيرُ كما سلف.

(٣) قَدَمَ العددُ وهو ثلاثة، وآخر المعدود ليشوقَ إليه، لأنَّ الإنسانَ إذا سمعَ العددَ مجموعاً يشتاوُ إلى تفصيلِ آحاده.

(٤) قَدَمَ الجارِّ والمجرور بعدَ الاستفهام في قوله: أفي الحقُّ أن يُعطى، ليدلَّ على أنَّ ذلك المقدَّمُ هو محطُّ الإنكار. فتحليلُ المعنى: أنه لا ينكرُ الإعطاء، ولكنه يُنكرُ أن يعدَّ ذلك حقاً وصواباً مع حرمانه هو.

(٥) قَدَمَ أداةَ العمومِ على أداةِ السلبِ في قوله: (كلُّ ليس يعدو) ليدلَّ على عمومِ السلب. أي أن النَّاسَ واحداً واحداً يشملُهم حكمُ الموتِ ولا مفرُّ منه.

(٦) قَدَمَ المفعولُ على الفعلِ في قوله: ﴿اللَّهُ فَاعْبُدْ﴾ ليدلَّ على التخصيص، أي اعبدِ الله ولا تعبدُ غيره.

(٧) سورة الزمر، الآية ٦٦.

(٨) قَدَمَ الجارِّ والمجرورَ على الفعلِ في قوله: (بكِ اقتدت) ليدلَّ على التخصيص، أي أنَّ الاقتداء كان بكِ لا بغيركِ.

ذكره الأصل. وقُدِّم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه (التاء)، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأُخِّرَ لاقتضاء المقام تقديم المسند. وعُرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار.

- كأنه الكوثرُ الفياض. جملةٌ خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمرادُ بها المدح. فهي تفيّد الاستمرارَ بقرينة المدح. المسندُ إليه (الهاء). ذكر وقُدِّم لأن الأصل فيه ذلك. وعُرف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار. والمسندُ (الكوثر) ذكر وأُخِّرَ لأن الأصل فيه ذلك. وعُرف بال لعهدِ الذهني.

- كتابٌ في صحائفه حكم. التكرير في هذه الجملة للتعظيم.
- ما هذا الرجلُ إنساناً. نُكر المسند (إنساناً) للتحقير.
- له همٌّ لا مُنتهى لكبارها. المسندُ (له) قُدِّم لإفادة أنه خبرٌ من أول الأمر، لأنه لو تأخَّر لتوهُم أنه صفةٌ للمند إليه لأنه نكرة.
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١) قُدِّم المسندُ ﴿كُفُوًا﴾ على المسند إليه ﴿أَحَدٌ﴾ للمحافظة على الفاصلة، على رأي بعضهم. والمنصوصُ عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.
- زهرة العلم أنضُرُ من زهرة الروضة. جملةٌ خبريةٌ اسميةٌ من الضرب الابتدائي. والمرادُ بها الاستمرارُ بقرينة المدح. المسندُ إليه (زهرة العلم) ذكر وقُدِّم لأن الأصل فيه ذلك. وعُرف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه. والمسندُ (أنضُرُ). ذكر وأُخِّرَ لأن الأصل فيه ذلك، ونكر لتعظيمه.
- غلامي سافر. أخي ذهبَ جاريته. أنا أحبُّ المطالعة. الحقُّ ظهر.
- الغضبُ آخرُه ندم. أتى بالمسند في هذه المثل جملةً لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند؟ ما هي أحواله؟ لأي شيء يُذكر المسند؟ لأي شيء يُحذف؟ لِمَ يُقدِّم؟ لِمَ يُؤخِّر؟ لِمَ يُعرِّف؟ لِمَ يُنكِّر؟ لِمَ يُؤتى به جملة؟

(١) سورة الإخلاص، الآية ٤.

الباب الخامس

في الإطلاق^(١) والتقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزءيها، المسند إليه والمسند فالحكم مطلق. وذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه، ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما، أو بأحدهما، فالحكم مقيد. وذلك حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل. ولو حذف قيد لكان الكلام كذباً، أو غير مقصود نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦).

فلو حذف الحال وهو (لاعين) لكان الكلام كذباً. بدليل المشاهدة والواقع.

ونحو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُسَيِّءُ﴾ (٣) إذ لو حذف (يكاد) لفات الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة.

واعلم أن معرفة خواص التركيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزاي، يسترعي لبك إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة، وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

(١) الإطلاق و التقييد: وصفان للحكم؛ فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر (المسند والمسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: الوطن عزيز. والتقييد أن يزداد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما، أو بأحدهما، مما لو أغفل لفات الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذباً، نحو: الولد النجيب يسر أهله.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٦ .

(٣) سورة النور، الآية ٣٥ .

والتقييد يكون: بالتوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز. وفي هذا الباب جملة مباحث^(١):

المبحث الأول

في التقييد بالنعته

أما النعتُ فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يدلُّ عليها:
أ - منها، تخصيص المنعوت بصفة تميزه إن كان نكرةً، نحو: جاءني رجلٌ تاجرٌ.

ب - ومنها، توضيح المنعوت إذا كان معرفةً، لغرض:
١ - الكشف عن حقيقته، نحو: الجسم الطويل، العريض، يشغل حيزاً من الفراغ.

٢ - أو التأكيد، نحو: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(٢)، وأمس الدابرُ كان يوماً عظيماً.

٣ - أو المدح، نحو: حضر سعدٌ المنصورُ.

٤ - أو الذم، نحو: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٣).

٥ - أو الترحم، نحو: قَدِمَ زيدٌ المكيُّ.

المبحث الثاني

في التقييد بالتوكيد

أما التوكيدُ فيؤتى به للأغراض التي يدلُّ عليها، فيكون:
١ - لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، نحو: جاء الأميرُ الأميرُ.

٢ - وللتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر، نحو: جاءني الأميرُ نفسه.

(١) اعلم أن التقييد يكون لتمام الفائدة، لما تقرّر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية. وكلما زاد خصوصية زادت فائدته، لا فرق بين تقييده بالتوابع، أو غيرها.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦ .

(٣) سورة المسد، الآية ٤ .

١٤٦ القسم الأول/ الباب الخامس في الإطلاق والتقييد

٣ - وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول، نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١).

٤ - ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع، نحو: ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوَّجَكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢).

المبحث الثالث

في التقييد بعطف البيان

أما عطف البيان، فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يدل عليها، فيكون:

أ - لمجرد التوضيح للمتبع باسم مختص به^(٣) نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر.

ب - وللمدح، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَفَّةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾^(٤)، فاليبت الحرام، عطف بيان للمدح.

المبحث الرابع

في التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق، فيؤتى به للأغراض الآتية:

١ - لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: جاء سعدٌ وسعيدٌ. فإنه أخضرٌ من: جاء سعدٌ، وجاء سعيدٌ. ولا يعلم منه تفصيل المسند لأن الواو لمطلق الجمع.

٢ - تفصيل المسند مع الاختصار أيضاً، نحو: جاء نصرٌ فمَنْصُورٌ^(٥)، أو ثمَّ مَنْصُورٌ، أو جاء الأمير حتى الجند. لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في

(١) سورة الحجر، الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٥ .

(٣) يكفي في التوضيح أن يوضح الثاني الأول عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو: عليٌّ زين العابدين، ونحو: عسجدٌ ذهبٌ.

(٤) سورة المائدة، الآية ٩٧ .

(٥) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر دون الزمان، إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول، كما =

تفصيل المسند. إلا أنَّ الأول يفيد الترتيب مع التَّعْقِيبِ، والثاني يفيد التَّرتِيبَ مع التراخي، والثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله، ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: مات الناس حتى الأنبياء.

٣ - ولرّد السامع إلى الصواب مع الاختصار، نحو: جاء نصرٌ لا منصورٌ، أو: لكن منصور.

٤ - ولصرف الحكم إلى آخر، نحو: ما جاء منصور، بل نصر.

٥ - وللشك من المتكلم، أو التشكيك للسامع، أو للإبهام. نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

٦ - للإباحة، أو التخيير:

مثال الأول: تَعَلَّمَ نحواً أو صرفاً، أو نحو: تعلّم إمّا صرفاً و إمّا نحواً.
و مثال الثاني: تزوّج هنداً أو أختها، أو نحو: تزوّج إمّا هنداً و إمّا أختها.

المبحث الخامس

في التقييد بالبدل

أمّا البدل، فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يدلُّ عليها ويكون لزيادة

= في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَنَوى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وإما بدون ترتيب، وذلك عند تكرير اللفظ الأول، نحو: بالله، فبالله. وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر، دون الزمان، إما مع الترتيب المذكور، نحو:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبَوْهُ ثُمَّ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ ونحو:

هو الكلب وابن الكلب والكلب جدّه ولا خير في كلب تناسل من كلب فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح في البيت الأول. فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جدّه. وإما بدون ترتيب، نحو: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٨﴾ [الانفطار: ١٧ و ١٨]. ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى، نحو: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. فنزلوا الترتيب في هذه الأمور منزلة الترتيب الزمني، المستفاد منها بأصل الوضع. ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازاً.

التقرير والإيضاح، لأنَّ البدلَ مقصودٌ بالحكمِ بعدَ إيهام، نحو: حضرَ ابني عليٌّ. في بدلِ الكلِّ.

ونحو: سافرَ الجندُ أغلبه. في بدلِ البعضِ.

ونحو: نفعتني الأستاذُ علمه. في بدلِ الاشتمالِ.

ونحو: وجهُك بدرُ شمسٍ. في بدلِ الغلطِ^(١).

وذلك، لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

المبحث السادس

في التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضميرِ الفصلِ لأغراضٍ كثيرة:

١ - منها التخصيصُ. نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾^(٢).

٢ - ومنها تأكيدُ التخصيصِ إذا كان في التركيبِ مُخصَّصَ آخرٍ. كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

٣ - ومنها، تمييزُ الخبرِ عن الصِّفةِ، نحو: العالمُ هو العاملُ بعلمه.

المبحث السابع

في التقييد بالنواسخ

التَّقييدُ بها، يكونُ للأغراضِ التي تُؤدِّيها معاني ألفاظِ النَّواسخِ، كالاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية في: كان^(٤).

وكالتوقيت بزمان مُعيَّن في: ظلَّ، وباتَّ، وأصبحَ، وأمسى، وأضحى.

(١) لكنَّ الحقَّ الذي عليه الجمهور، أنَّ بدلَ الغلط لا يقعُ في كلامِ البلغاءِ.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٨.

(٤) فالجملة تنعقد من الاسم أو الخبر، أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر، وكون الناسخ قيداً. فإذا قلت: رأيتُ الله أكبرُ كلُّ شيءٍ. فمعناه: الله أكبرُ كلِّ شيءٍ على وجه العلم اليقين. وهكذا.

وكانتوقيت بحالة مُعَيَّنَةٍ في: مادامَ.
 وكالمُقارَبَةِ في: كادَ، وكَرَبَ، وأوشَكَ.
 وكالتأكِيد في: إِنَّ و أُنَّ، وكالتَّشْبِيهِ في: كَأَنَّ.
 وكالاستدراك في: لكنَّ، وكالرجاء في: لعلَّ.
 وكالتَّمْنِي في: ليتَ، وكاليقين في: وَجَدَ، وأَلْفَى، ودَرَى، وعلمَ.
 وكالظنَّ في: خالَ، وزعمَ، وحسِبَ، وكالتَّحوُّل في: اتَّخَذَ، وجعلَ،
 وصيَّرَ.

المبحث الثامن

في التَّقييد بالشَّرْط

التَّقييدُ به يكون للأغراض التي تُؤدِّيها معاني أدوات الشرط، كالزمان في متى، وأَيَّانَ. والمكان في: أينَ، وأَتَى، وحيثُما. والحال في كيفما. واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو. وإنما يفرَّق هنا بين (إنَّ وإذا ولو) لاختصاصها بمزايا تُعدُّ من وجوه البلاغة.

الفرق بين

إنَّ، وإذا، ولو

الأصلُ عدمُ جَزم وقَطْع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع إنَّ ومن ثمَّ كَثُرَ أن تُسْتَعْمَلَ إنَّ في الأحوال التي يندُرُ وقوعُها. ووجبَ أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمالِ الشكِّ في وقوعه^(١).

بخلاف إذا فتُستعمل بحسب أصلها في كلِّ ما يَقْطَعُ المتكلم بوقوعه في المستقبل. ومن أجل هذا لا تُستعمل إذا إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع. ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا

(١) ولذا، لا يقال: إنَّ طلعتِ الشمسُ أَرُوكَ. لأنَّ طلوعَ الشمسِ مقطوعٌ بوقوعه. وإنما يقال: إذا طلعتِ الشمسُ أَرُوكَ. قال أبو تمام: إنَّ يكنْ في الأرضِ شيءٌ حَسَنٌ فَهُوَ في دُورِ بني عبدِ الملكِ

جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ﴿١﴾ .
فلكون مجيء الحسنة منه تعالى مُحَقَّقاً ذكر هو والماضي معه (إذا) .

وإنما كان ما ذكر مُحَقَّقاً لأنَّ المراد بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة: من خُضْب، ورُخَاء، وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية في لفظة الحسنة. ولكون مجيء السيئة نادراً، ذكر هو والمضارع مع إن.
وإنما كان ما ذكر نادراً لأنَّ المراد بها نوعٌ قليل، وهو جذبٌ وبلاءٌ كما يفهم من التَّنْكِير سيئة على التقليل.

ولو: للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء.
على أنَّ الجزاء كان يمكن أن يقع، لو وُجد الشرط.
ويجب كونُ جملتيها فعليَّتين ماضويَّتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك.

وتُسَمَّى لو: حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلهَةً إِلهَةً إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢)، ونحو: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْتُكُمْ آجَمِينَ﴾^(٣). أي: انتفت هدايته إياكم بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: عُلِمَ مما تقدم أنَّ المقصودَ بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب. فإذا قلت: إن اجتهد فريدٌ كافأته، كنت مُخْبِراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال^(٤). ويتفرَّع على هذا أنها تُعَدُّ خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣١ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤٩ .

(٤) قال السكاكي: قد يقيدُ الفعلُ بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به. ولا يخرجُ الكلامُ بتقييده به عما عليه من الخبرية والإنشائية. فالجزاء إن كان خبراً، فالجملة خبرية، نحو: إن جئتني أكرمك أي أكرمك لمجيئك. وإن كان إنشائاً فالجملة إنشائية، نحو: إن جاءك خليلٌ فأكرمه. أي: أكرمه وقت مجيئه، فالحكمُ عنده في الجمل المصدرة بيان وأمثالها في الجزاء، وأما نفس الشرط فهو قيدٌ للمسدد فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

الثاني: ما تقدّم من الفرق بين إن وإذا هو مقتضى الظاهر. وقد يخرج الكلام على خلافه، فتعمل إن في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه، لأغراض كثيرة:

- أ - كالتجاهل، نحو قول المعتذر: إن كنت فعلت هذا فعن خطأ.
 ب - وكنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه. كقولك للمتكبر تويخاً له: إن كنت من تراب فلا تفتخر.
 ج - وكتغليب غير المتّصف بالشرط على المتّصف به، كما إذا كان السفر قطعي الحصول لسعيد، غير قطعي لخليل. فتقول: إن سافرتما كان كذا^(١). وقد تستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:
 أ - منها، الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه. بل ينبغي أن يكون مجزوماً به، نحو: إذا كثّر المطر في هذا العام أخضب الناس.

- ب - ومنها، تغليب المتّصف بالشرط على غير المتّصف به، نحو: إذا لم تسافر كان كذا ... و هلمّ جزءاً من عكس الأغراض التي سبقت.
 الثالث: لما كانت إن وإذا لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرطاً وجزاء كل منهما جملة فعلية استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وإن يَتَغَيَّبُوا يَفْأَؤُوا يَمَآءَ كَالْمُهْلِ﴾^(٢). ونحو:
 والنفس راغبة إذا رَغِبَتْهَا وإذا تُرِدْ إلى قَلِيلٍ تَفْنَعُ
 ولا يُعَدُّ عن استقبالية الجملة لفظاً ومعنى إلى استقباليته معنى فقط،
 إلا لدواعٍ غالباً:

(١) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به. فاستعملت (إن) في المجزوم، وهو من قطع له به بسبب تغلبه على من لم يقطع له به. وهذا السبب مُسَاغٌ لذكر (إن). واعلم أن التغليب (الذي هو أن يُعطى أحد المصطحبين، المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات في هذا المقام. واعلم أيضاً أن المقصود بالذات من جملة الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط. وأما جملة الشرط فهي قيد لها. فإذا قلت: إن زارني سليم أكرمته، فالمقصود أنك ستكرم سليماً، ولكن في حال زيارته لك. فتعد الجملة اسمية أو فعلية أو خبرية أو إنشائية، باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلاً. فارجع إليه إن شئت.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٩.

أ - منها، التَّفاؤل، نحو: **إِنْ عَشْتُ فَعَلْتُ الْخَيْرَ**^(١).
 ب - ومنها، تَحْيُلُ إظهار غير الحاصل وهو الاستقبال في صورة الحاصل وهو الماضي، نحو: **إِنْ مِتُّ كَانَ مِيرَاثِي لِلْفُقَرَاءِ**.
الرَّابِعُ: عُلِمَ مما تقدّم من كون «لو» للشرط في الماضي لزوم كون جُمْلَتِي شَرْطِهَا وَجَزَائِهَا فَعَلِيَّتَيْنِ مَاضِيَّتَيْنِ، وعدم ثبوتهما.
 وهذا هو مُقْتَضَى الظاهر، وقد يخرجُ الكلامُ على خلافه. فَتُسْتَعْمَلُ لو في المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ. وذلك:

أ - كالإشارة إلى أَنَّ المضارع الذي دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى وقتاً بعد وقت، وحصوله مرةً بعد أخرى. كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنُرْتِمَنَّ﴾^{(٢)(٣)}.

ب - وكتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عَمَّنِ المُستقبلِ عنده كالماضي في تَحَقُّقِ الوقوع، و لا تَخْلُفَ في أخباره، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾^{(٤)(٥)}.

المبحث التاسع

في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي يكونُ لسلبِ النسبةِ على وجهٍ مخصوص، ممَّا تفيذه أحرفُ النفي السبعة، وهي: لا. وما. ولات. وإن. ولن. ولَمَّا.

(١) وقد تستعملُ إن في غير الاستقبال لفظاً ومعنى، وذلك فيما إذا قُصد بها تعليقُ الجزاء على حصول الشرط الماضي حقيقةً كقول أبي العلاء المعري:

فيا وطني إن فأتني بك سابق من الدهر فلينعنم بساكنك البال

وقد تستعملُ «إذا» أيضاً في الماضي حقيقةً نحو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]. وللاستمرار نحو: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

(٢) أي امتنع عنتكم، أي وقوعكم في جهدٍ وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على إطاعتكم.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٧.

(٤) نزل وقوفهم على النار يوم القيامة منزلةً الماضي، فاستعملَ فيه «إذا» ولفظ الماضي وحينئذ. فكان الظاهر أن يقال: «ولو رأيت» بلفظ الماضي. لكن عُدل عنه إلى المضارع تنزيلاً للمستقبل الصادر عَمَّنِ لا خلاف في خبره منزلةً الماضي الذي عُلِمَ وتَحَقَّقَ معناه كأنه قيل: قد انقضى هذا الأمرُ وما رأيته، ولو رأيته لرأيتُ أمراً فظيحاً.

(٥) سورة السجدة، الآية ١٢.

(فلا) للنفي مطلقاً، و(مَا. وإن. ولات) لنفي الحال، إن دَخَلَتْ على المضارع. و(لن) لنفي الاستقبال. و(لم. ولما) لنفي الماضي، إلا أنه (بَلَمَّا) يَنْسَحِبُ إلى ما بعدَ زمنِ التَّكَلُّمِ، ويختصُّ بالمتوقَّع. وعلى هذا فلا يقال: لَمَّا يَقُمْ خليلٌ، ثم قامَ. ولا: لَمَّا يجتمعُ التَّقِيضَان. كما يقال: لم يَقُمْ عليٌّ ثم قام. ولم يجتمع الضَّدَان. فَلَمَّا في النفي تُقَابِل (قد) في الإثبات. وحيثُذ يكونُ منفيُّها قريباً من الحال، فلا يصحُّ: لَمَّا يجيءُ خليلٌ في العام الماضي.

المبحث العاشر

في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها يكونُ لبيانِ نوعِ الفعل، أو ما وقعَ عليه، أو فيه، أو لأجله أو بمقارنته. ويُقَيَّدُ بالحالِ لبيانِ هيئةِ صاحبِها وتقييدُ عاملِها. ويُقَيَّدُ بالتمييزِ لبيانِ ما خفيَ من ذاتٍ، أو نسبة. فتكونُ القِيُودُ هي محطُّ الفائدة.

و الكلامُ بدونها كاذبٌ، أو غيرُ مقصودٍ بالذَّات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾^(١). وقد سبق القولُ في أولِ البابِ مفصلاً، فارجعْ إليه إن شئتَ.

تنبيهات

الأول: عُلِمَ مِمَّا تقدَّمَ أَنَّ التَّقييدَ بالمفاعيلِ الخمسةِ ونحوِها للأغراضِ التي سَبَقَتْ. وتَقْيِيدُهَا إذا كانت (مذكورة).

أما إذا كانت محذوفةً فتَقْيِيدُ أغراضاً أخرى:

١ - منها، التَّعميمُ باختصارِ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٢). أي جميعَ عباده، لأنَّ حذفَ المعمولِ يُؤْذَنُ بالعموم^(٣) ولو ذُكِرَ لفات غرض الاختصارِ المناسب لمقتضى الحال.

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٦ .

(٢) سورة يونس، الآية ٢٥ .

(٣) أي ما لم يكن تعلقُ فعلِ المشيئةِ بالمفعولِ غريباً كقوله:

فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتهُ عليه و لكن ساحةَ الصُّبرِ أوسعُ
وأعدذته دُخراً لكلِّ مُلِمةٍ وسهمُ المنايا بالذخائرِ أوعُ
فإن تعلقَ فعلِ المشيئةِ ببكاءِ الدمِ غريبٌ، فلذا لم يُحذفِ المفعولُ ليتقرَّرَ في نفسِ السامعِ .

٢ - ومنها، الاعتمادُ على تقدُّم ذكره، كقوله تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ﴾^(١) أي: ويثبت ما يشاء.

٣ - ومنها، طلبُ الاختصار، نحو: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾^(٢) أي: يغفرُ الذنوبَ.

٤ - ومنها، استهجانُ التَّضريح به نحو: ما رأيت منه ولا رأى مني. أي العورة.

٥ - ومنها، البيانُ بعدَ الإبهام، كما في حذفِ مفعولِ فعلِ المشيئة^(٣) ونحوها^(٤) إذا وقعَ ذلك الفعلُ شرطاً. فإنَّ الجوابَ يدلُّ عليه، ويبينه بعدَ إبهامه، فيكونُ أوقعَ في النفس. ويقدِّرُ المفعولُ مصدراً من فعلِ الجوابِ، نحو: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾^(٥) أي فمن شاء الإيمانَ.

٦ - ومنها، المحافظة على سجع، أو وزن:

فالأول، كقوله تعالى: ﴿سَيَذَرُكَ مَنْ يَخْشَى﴾^(٦).

إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سُنَنِ رؤوسِ الآيِ السابقة.

والثاني، كقول المتنبي:

بَنَاهَا فَأَعْلَى، وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمٌ
أي: فأعلاها.

٧ - ومنها، تعيُّنُ المفعول، نحو: رعتِ الماشيةُ (أي نباتاً).

٨ - ومنها، تنزيلُ المُتَعَدِّي منزلةَ اللازم لعدم تعلق الغرضِ بالمعمولِ. بل يُجْعَلُ المفعولُ مَنَسِيّاً، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدراً.

(١) سورة الرعد، الآية ٣٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٤ .

(٣) هذا التعميم وإن أمكنَ بذكرِ المفعولِ على صيغة التام، لكن يفوت الاختصار المطلوب.

(٤) أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة و المحبة.

(٥) سورة الكهف، الآية ٢٩ .

(٦) سورة الأعلى، الآية ١٠ .

كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{(١)(٢)}.

الثاني: الأصل في العامل أن يُقدَّم على المعمول. وقد يُعكس، فيقدَّم المعمول على العامل لأغراض شتى:

- ١ - منها، التخصيص. نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^{(٣)(٤)}.
- ٢ - ومنها، ردُّ المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المفعول، نحو: نضراً رأيت، رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره.
- ٣ - ومنها، كون المتقدم^(٥) محط الإنكار مع التعجب نحو: أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف؟

٣ - ومنها، رعاية موازنة رؤوس الآي نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾^(٦) ثمَّ لِلْجَحِيمِ سُلُوكُهُ^(٦) وهلمَّ جرّاً من بقية الأغراض التي سبقت.

(١) أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص، والمعنى: لا يستوي من ثبت له حقيقة العلم. ومن لم تثبت له. فلو قدر له مفعول، وقيل: هل يستوي الذين يعلمون الدين، والذين لا يعلمونه؟ لفات هذا الغرض.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) وذلك لأنَّ المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له. فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام. لا بأصل الوضع.

(٤) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٥) أي فيكون التقديم للتبرُّك، والتلذُّذ، وموافقة كلام السامع، والاهتمام وضرورة الشعر، وغير ذلك. واعلم أنَّ اختلاف الترتيب بين المعمولات، إما لأمر معنوي، نحو: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [سورة يس: ٢٠]، فلو أخرج المجرور لثوَّهم أنه من صلة الفاعل. والمراد كونه من صلة فعله. وإما لأمر لفظي، نحو: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفُلْكَ﴾ [سورة النجم: ٢٣]. فلو قُدم الفاعل لاختلِفَت الفواصل. لأنها مبنية على الألف. وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض، إما لأصاليته في التقديم لفظاً، نحو: حسب زيداً كريماً. فإن زيداً وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل. أو معنى، نحو: أعطى زيداً عمراً درهماً. فإن عمراً وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم، لأنه آخذه، والدرهم مأخوذ.

(٦) سورة الحاقة، الآيتان ٣٠ و ٣١.

تطبيق عام على الإطلاق و التقييد

إذا كنتَ في نعمةٍ فازعها فإنَّ المعاصي تزيلُ النعمَ
 جملة فارعها - إنشائية أمرية. والأمرُ مستعملٌ في أصلٍ معناه. المسندُ
 إليه (أنت) وهي مُقيدة بالمفعول به لبيانِ ما وقعَ عليه الفعل. ومقيدة بالشَّرط
 للتعليق، وكانت أداة الشرط (إذا) لتحقيقِ الحصول. فإنَّ المعاصي تُزيلُ النعمَ
 جملةٌ خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمرادُ بالخبر التحذيرُ من المعاصي.
 المسندُ إليه (المعاصي) والمسندُ جملة (تزيل). وأتى به جملةٌ لتقويةِ
 الحكم بتكرار الإسناد. وقيد بالمفعول به النعمَ لبيانِ ما وقعَ عليه الفعل.
 والحكمُ مقيدٌ بأنَّ للتوكيد.

- إن اجتهدَ خليلٌ أكرمته. الجملةُ أكرمته وهي جملةٌ خبريةٌ فعلية من
 الضرب الابتدائي. المسندُ (أكرم) والمسندُ إليه (التاء). وهي مقيدةٌ بالمفعول
 به لبيانِ ما وقعَ عليه الفعل. وبالشَّرط للتعليق. وكانت أداة الشرط (إن) لعدمِ
 الجزم بوقوع الفعل.

- وأصابَتْ تلكَ الرُّبى عينُ شمسٍ أَوْرَثَها من لونها اضفِرا
 كلما جالَ طرفُها تتركُ الناسَ سَ سُكارى وما هُم بـسُكارى
 وأصابَتْ تلكَ الرُّبى جملةٌ خبريةٌ فعلية من الضرب الابتدائي. والمرادُ
 بالخبر أصلُ الفائدة. المسندُ (أصاب) ذكر لأنَّ الأصلَ فيه ذلك. وقُدِّم لإفادةِ
 الحدوثِ في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسندُ إليه (عين شمس)، وذكر
 لأنَّ الأصلَ فيه ذلكُ وأخر لاقْتضاءِ المقامِ تقديمِ المسند. وخُصِّصَ بالإضافةِ
 لتعينيها طريقاً لإحضار معناه في ذهنِ السامع. والمضافُ إليه (شمس)، قُيِّدَ
 بالصفة «أورثتها من لونها»، لأنها في محلِّ جرٍّ صفة شمسٍ للتخصيص. وقُيِّدَ
 الحكمُ بالمفعول به «تلك» لبيانِ ما وقعَ عليه الفعل. وعُرفَ المفعولُ به
 بالإشارة لبيانِ حاله في البعد. وقُيِّدَ المفعولُ بالبدلِ «الرُّبى» لتقرير حاله في
 نفس السامع «تتركُ الناسَ سُكارى» هي الجملة الرئيسية. لأنَّ الشرطية لا تُعتبر
 إلا بجوابها. وهي جملةٌ خبريةٌ اسمية من الضرب الابتدائي. والمرادُ بالخبر
 التَّفخيمُ. المسندُ إليه «الناس»، ذكر وقُدِّم لأنَّ الأصلَ فيه ذلك، وعُرفَ بأنَّ

للعهد الذهني، لأن المراد بالناس الذين نظروا إليها. والمسند «سكاري» ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، ونكر للتحويل، والحكم مقيد «بتترك» لإفادة التحويل، وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط كلما لإفادة التكرار. وما هم بسكاري جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمراد بالخبر أصل الفائدة، والمسند إليه «هم»، والمسند «سكاري» والحكم مقيد بما لنفي الحال.

- لا تياسن وكن بالصبر معتصماً لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
لا تياسن جملة إنشائية نهيية. والمراد بالنهي الإرشاد. المسند «لا تياسن»
والمسند إليه «أنت». و«كن بالصبر معتصماً» أصلها: أنت معتصم بالصبر.
وهي جملة إنشائية أمرية، والمراد بالأمر الإرشاد أيضاً. المسند إليه الضمير
المتر في «كن»، والمسند «معتصماً»، والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع
عليه الفعل. وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال.

«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق
الصبر. وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر الحث
على الصبر. المسند «تبلغ» والمسند إليه «أنت» والحكم مقيد بلن للنفي في
المستقبل. وبالجاء و المجرور لبيان غاية الفعل.

- عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
في البيت جملة إنشائية، غير طلبية. وهي اسمية من الضرب الثالث، لما
فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. المسند إليه «الكرب» ذكر وقدم لأن
الأصل فيه ذلك عرف بأن للعهد الذهني، وقيد بالنعته «الذي أمسيت فيه»
لتوضيحه، والمسند «يكون» إلخ. والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء. وأما
جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب
الابتدائي. المسند إليه فيها «التاء»، والمسند «الجار والمجرور» والحكم مقيد
بأسمى لإفادة المساء. وجملة الخبر «يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية
اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه
ذلك. وأخر لضرورة النظم، وقيد بالنعته «قريب» لإفادة القرب، والمسند
«وراءه» ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وقدم للضرورة، والحكم مقيد بالناسخ
«يكون» لإفادة الاستقبال.

- يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيتِهِ في بعضِ غِرَّاتِهِ يوافقُها أصلُ الجملة: يوشكُ مَنْ فَرَّ من منيته يوافقُها في بعضِ غِرَّاته. وهي جملةٌ خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمرادُ بها التَّيْسُ من الخلود في هذه الدنيا. المسند إليه «من» ذكر وقُدِّم لأنَّ الأصل فيه ذلك. وعُرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصُّه غير الصلة. والمسندُ جملة «يوافقها» ذكر وأخر لأنَّ الأصل فيه ذلك. وأتَى به جملةٌ لتقوية الحكم، وقُيد بالجار والمجرور لبيان نوع زمنه، والحكمُ مقيدٌ بالناسخ «يوشك» لإفادة المقاربة.

- إِنَّ الثَّمَانِينَ وُبلِّغَتْها قد أحوجت سَمْعِي إلى تَرْجُمانَ «إِنَّ الثَّمَانِينَ قد أحوجت» جملةٌ خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمرادُ بها إظهارُ الضعف. المسند إليه «الثمانين» ذكر وقُدِّم لأنَّ الأصل في ذلك. وعُرف بآل للعهد الذهني. والمسند «قد أحوجت» ذكر وأخر لأنَّ الأصل فيه ذلك. وأتَى به جملةٌ لتقوية الحكم.

والحكمُ مقيدٌ بـإن. وقد للتوكيد. وأما قوله: وبلِّغَتْها، فهي جملةٌ معترضة للدعاء. وهي جملةٌ خبرية فعلية من الضرب الابتدائي المسند إليه «التاء»، والمسند «بلغ» والحكمُ مقيدٌ بالمفعول به، لبيان ما وَقَعَ عليه الفعل.

أسئلة على الإطلاق والتقييد يُطلب أجوبتها

ما هو الإطلاق؟ ما هو التقييد؟ متى يكونُ الإطلاق؟ متى يكونُ التقييد؟ لماذا يقيّد بالنعته؟ لماذا يقيّد بالتوكيد؟ لماذا يقيّد بعطفِ النسق؟ لماذا يقيّد بالبدل؟ لماذا يقيّد بالمفاعيل الخمسة؟ لماذا يقيّد بالحال؟ لماذا يقيّد بالتمييز؟ لماذا يقيّد بالنواسخ؟ لماذا يقيّد بضمير الفصل؟ لماذا يقيّد بالشرط؟ ما الفرقُ بينَ إن، وإذا، ولو؟ ما المقصودُ من الجملة الشرطية؟ هل يمكنُ أن تستعملَ (إن) في مقام الجزم بوقوع الشرط؟ هل يمكنُ أن تستعملَ (إذا) في مقام الشك؟ هل يمكنُ أن تستعملَ (لو) مع المضارع؟ لماذا يقيّد بالنفي؟

الباب السادس

في أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة، منها:

المفعول، والحال، والظرف، والجار والمجرور. وهذه المتعلقات أقل في الأهمية من ركني الجملة، ومع ذلك فقد تتقدم عليهما، أو على أحدهما: فيقدم المفعول لأغراض، أهمها:

١ - تخصيصه بالفعل. ٢ - موافقة المخاطب، أو تخطئه.

٣ - الاهتمام بالفعل. ٤ - التبرك به. ٥ - التلذذ به.

ويتقدم كل من الحال، والظرف، والجار والمجرور، لأغراض كثيرة:

١ - منها، تخصيصها بالفعل.

٢ - ومنها، كونها موضع الإنكار.

٣ - ومنها، مراعاة الفاصلة، أو الوزن.

والأصل في المفعول أن يؤخر عن الفعل، ولا يُقدم عليه إلا لأغراض

كثيرة:

١ - منها، التخصيص نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(١) ردّاً على من قال: أعتقد

غير ذلك.

٢ - ومنها، رعاية الفاصلة، نحو: ﴿ثُمَّ لَنُحِيطَ صَلَوةً﴾^(٢).

٣ - ومنها، التبرك، نحو: قرأنا كريماً تلوث.

٤ - ومنها، التلذذ، نحو: الحبيب قابلت.

والأصل في العامل أن يُقدم على المعمول. كما أن الأصل في المعمول

أن يُقدم عُمدته على فضليته. فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.

(١) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٢) سورة الحاقة، الآية ٣١.

أما بينَ أفعالِ والمفعول ونحوه: كالظرف، والجارّ والجور، فيختلفُ التّرتيبُ للأسباب الآتية:

- ١ - إمّا لأمر معنويّ، نحو: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(١). فلو آخر المجرور لثوّه أنه من صلةِ الفاعل، وهو خلافُ الواقعِ لأنّه صلةٌ لفعله.
- ٢ - وإمّا لأمرٍ لفظيٍّ، نحو: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدْيُ﴾^(٢). فلو قدّم الفاعلُ لاختلّفتِ الفواصلُ، لأنها مبنيةٌ على الألف.
- ٣ - وإمّا للأهميّة، نحو: قُتلَ الخارجيُّ فلانٌ. وأمّا تقديمُ الفضلاتِ على بعضٍ، فقد يكون:

- ١ - للأصالة في التّقدّم لفظاً، نحو: حَبِثُ الهلالَ طالعا. فإنّ الهلالَ ولو كان مفعولاً في الحال، لكنّه مبتدأ في الأصل. أو للأصالة في التّقدّم معنًى، وذلك كالمفعولِ الأول في نحو: أعطى الأميرُ الوزيرَ جائزةً. فإن الوزيرَ، وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأميرَ، لكنّه فاعلٌ في المعنى بالنسبة إلى الجائزة^(٣).

- ٢ - أو لإخلالٍ في تأخيرهِ، نحو: مررتُ راكباً بفلانٍ. فلو أخرتِ الحالَ لثوّه أنها حالٌ من المجرور، وهو خلافُ الواقع، فإنّها حالٌ من الفاعل. والأصلُ في المفعول ذكره، ولا يُحذفُ إلا لأغراضٍ تقدّم ذكرها.

تمرين

لبيانِ المتقدّم من رُكني الجملة، ومتعلقاتِ الفعل، وسببِ تقدمه:

- ١ - قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٤).
- ٢ - وكتب ابنُ المُعتر لأحدِ خُلانِهِ: قلبي نَجِيٌّ ذُكْرُكَ، ولِساني خادِمُ شُكْرِكَ.
- ٣ - وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٥).

(١) سورة يس، الآية ٢٠.

(٢) سورة النجم، الآية ٢٣.

(٣) لأن الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حقّ التّقدم.

(٤) سورة النجم، الآية ٢٥.

(٥) سورة الرعد، الآية ٢٦.

- ٤ - كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ أَقَامَ كُتُوحٌ فِي أَمَانٍ مِنَ الرَّدَى سَوْفَ يَفْنَى
٥ - أَنَسَا يَمْرُقُ أَثْوَابِي يُؤَدُّبُنِي أَبْعَدُ شَيْبِي يَبْغِي عِنْدِي الْأَدْبَا؟
٦ - «مَنْهُومان لَا يَشْبَعَان: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ مَالٍ».
٧ - عَبَّاسُ مَوْلَايَ أَهْدَانِي مِظْلَتَهُ يَظْلُلُ اللَّهُ عَبَّاساً وَيَرْعَاهُ
٨ - أَنَا أَكْرَمْتُكَ، وَفِي مَنْزِلِي آوَيْتُكَ، وَمُطْمَئِنَّا قُلْتُ لَكَ: نَجَاتُكَ تَحَقَّقَتْ.
٩ - لَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ صَخْبِي أَيَادٍ سَوْفَ تَبْقَى وَكُلُّ شَيْءٍ سَيَفْنَى
١٠ - مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يَدْرُكُهُ تَأْتِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
وقال المرحومُ حافظُ إبراهيم بك في وصفِ الشمس:
١١ - إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيِهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةً بِالْغَةِ قَدْ مَثَلْتُ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ
١٢ - فَمِثْلُ عِلَاكَ لَمْ أَرْ فِي الْمَعَالِي وَلَا تَاجاً كَتَاكَ فِي الْجَلَالِ

الجملة	النوع المتقدم	سبب تقدمه
١- فله الآخرة والأولى	خبر	تخصيص الخبر بالمبتدأ
٢- قلبي. ولساني	مبتدأ	لأنه الأصل
٣- الله يسط الرزق	مبتدأ	تخصيصه الخبر
٤- كل حي وإن أقام	مبتدأ	إفادة التعميم
٥- أبعد شيبى يبغى	ظرف	موضع الإنكار
٦- منهومان لا يشبعان	مبتدأ	التشويق إلى المبتدأ
٧- عباس مولاى	مبتدأ	التعظيم
٨- أنا أكرمتك	مبتدأ	تخصيصه بالخبر الفعلي
وفي منزلي آويتك	جار ومجرور	تخصيصه بالفعل
ومطمئناً قلت لك	حال	موضع العناية والاهتمام
نجاتك تحققت	مبتدأ	تعجيل المسرة
٩- لك عندي	خبر	للتنبية على أنه خبر لا صفة
كل شيء سيفنى	مبتدأ	إفادة التعميم
١٠- ما كل ما يتمنى المرء يدركه	مبتدأ	نفي العموم
١١- الشمس وما في آيها .. حكمة	مبتدأ	التشويق للخبر
١٢- مثل علاك لم أر	مفعول	تخصيص المفعول بالفعل

تمرين آخر

- اشرح معنى التخصيص، واذكر مواضعه في باب التقديم.
- أي أجزاء الجملة يفيدُ تقديمه: التلذذ، أو التعظيم؟ ومتى يفيدُ ذلك؟
- ما هي متعلقات الفعل؟ وما أسباب تقديمها عليه؟
- كيف تشوقُ لكل من المبتدأ والخبر؟ ومتى يفيدُ المبدأ التعميم إذا قدمته؟ ومتى يدلُّ على التخصيص بالخبر؟
- ميز المبتدأ الذي جرى في التقديم على أصله من الذي تقدّم زائداً؟

تدريب

- العبارات الآتية تقدّم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض. اذكر المتقدم، وبيّن نوعه في كل عبارة:
- اثنان لا يستغني عنهما إنسان: العلم والمال.
- قال ﷺ: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم».
- إليك على بُعد المزار وضعبه نوازع شوق ما تُردّ عوازيه
- قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).
- قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.
- وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿٧﴾ وَيَأْتِيهِمْ لُجُجُهُمْ مِّنَ الدُّخَانِ ﴿٨﴾﴾
- إلى الله كل الأمر في الخلق كُلِّهِمْ وليس إلى المخلوق شيء من الأمر

تصريح

عين المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل، واذكر سبب تقدمه:

(١) سورة البقرة، الآية ٧٩ .

(٢) سورة الذاريات، الآيتان ١٧ و ١٨ .

- قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).
- الدنيا دارُ عَناءٍ، ليس لأحدٍ فيها البقاء، وغداً تُسرُّ أو تُساء.
- أَلَقْتُ مَقَالِيدَهَا الدُّنْيَا إِلَى رَجُلٍ ما زالَ وَفْقاً عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
- قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلْبُونَ﴾^(٢).
- وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَفَتَنَاجَيْتَ بِالْحَقِّ﴾^(٣).
- بأي لفظٍ تقول الشعر زِعْنَفَةً تجوزُ عندك لا عُزْبٌ ولا عجم؟
- ولأحمد بن يوسف: «بالأقلام تُساسُ الأقاليم».
- «أسعدُ الناس بشفاعتي يومَ القيامة: من قال لا إله إلا الله بقلبه خالصاً».
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَلِلَّيْلِ الْمَصِيرُ﴾^(٤).
- رأى الرسول رجلاً نذر أن يمشي فقال: «إن الله عن تعذيبِ هذا نفسه لَغَنِيٌّ».
- يساورُني طولُ الدُّجى وأساوِرةٌ مَلالٌ وطَرْفي ساهدٌ^(٥) الليل ساهرةٌ

اختبار الذاكرة

كوْن أربعَ جملٍ تَقَدَّم في أولها (الخبر) ليفيدَ التشويقَ إلى المبتدأ. وتَقَدَّم (المبتدأ) في الثانية لتعجيلِ المسرَّة. وتَقَدَّم في الثالثة (الحال) لأنه موضعُ الإنكار. وتَقَدَّم (الظرف) في الرابعة لأنه موضعُ العناية.

(١) سورة البقرة، الآية ٥٧ .

(٢) سورة الروم، الآية ٢٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٧١ .

(٤) سورة ق، الآية ٤٣ .

(٥) ساهر.

الباب السابع

في تعريف القصر

القصرُ: لغةً الحبسُ، قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتُ فِي الْخِيَارِ﴾^(١). واصطلاحاً: هو تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص.

والشيءُ الأولُ: هو المقصورُ، والشيءُ الثاني: هو المقصورُ عليه. والطريقُ المخصوصُ لذلك التخصيصِ يكونُ بالطُّرُقِ والأدواتِ الآتية. نحو: ما شوقي إلا شاعرٌ، فمعناه تخصيصُ شوقي بالشعر وقصره عليه، ونفيُ صفة الكتابة عنه، ردّاً على مَنْ ظنَّ أنّه شاعرٌ وكتب.

والذي دلَّ على هذا التخصيصِ هو النفيُ بكلمة (ما) المتقدمة، والاستثناء بكلمة (إلا) التي قبلَ الخبر. فما قبلَ (إلا) وهو (شوقي) يُسمَّى مقصوراً عليه، وما بعدها وهو (شاعر) يسمَّى مقصوراً. (وما - وإلا) طريق القصر وأدواته. ولو قلت: شوقي شاعرٌ، بدون نفي واستثناء ما فهم هذا التخصيصُ.

ولهذا يكونُ لكلِّ قصرٍ طرفان؛ مقصور، ومقصور عليه. ويُعرَّفُ المقصورُ بأنَّه هو الذي يُؤلفُ مع المقصورِ عليه الجملةُ الأصلية في الكلام. ومن هذا تعلمُ أن القصرَ: هو تخصيصُ الحكمِ بالمذكورِ في الكلام ونفيه عن سواه بطريقٍ من الطرق الآتية. وفي هذا الباب أربعة مباحث:

المبحث الأول

في طُرُقِ القصر

للقصر طُرُقٌ كثيرة، وأشهرُها في الاستعمال أربعة^(٢). وهي:

(١) سورة الرحمن، الآية ٧٢.

(٢) ومن طُرُقِ القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ وخذه، أو فقط، أو لا غير، أو ليس غير، أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر، أو توسُّط ضمير الفصل، أو تعريفُ المسند =

أَوَّلًا: يكون القصر بالنفي والاستثناء^(١)، نحو: ما شوقي إلا شاعرٌ، أو: ما شاعرٌ إلا شوقي.

= إليه، أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً، وغير ذلك. وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية. وقد أوصَلها جلال الدين السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقاً.

أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال. وهي تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة: منها - أن لا العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء، لأن شرط المنفي بها ألا يكون منفياً صريحاً قبلها بغيرها. فلا تقول: ما علي إلا مجتهد لا متكاسل. ولذا عيِبَ على الحريري قوله:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومٍ على ما تحلى يومه لا ابن أمٍ
وتجتمع «لا» مع «إنما» أو «التقديم» نحو: إنما أنا مصري لا سوري. ونحو: المجتهد أكرمُ لا المتكاسل، لأن النفي فيهما غير مصرح به.

ومنها - أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء أن يكون مجهولاً مُكرراً للمخاطب، أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره، بخلاف «إنما» لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من «إنما». فينبغي أن يكون لشديد الإنكار. ونحو قولك؛ وقد رأيت شعباً من بُعد: ما هو إلا زيد. لمن اعتقد أنه غيره، ونحو: «إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» [يس: ١٥]. لما كانوا مُصِرِّين على دَعْوَى الرسالة مع زعمِ المكذِّبين امتناعُ الرسالة في البشر. ردُّ المكذِّبون إصرارهم عليهم بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي، فيستعمل فيه النفي والاستثناء. نحو: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» [آل عمران: ١٤٤]. فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة ونفى عنه أن يُظنَّ في أمره الخلود، فلا يموت أو يُقتل.

وهذا معلومٌ للصحابة، لكن لاستعظامهم موته، ولشدَّة حرصهم على بقائه ﷺ نزلوه منزلة من لا يعلمه وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم، نحو: «إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ» [البقرة: ١١]، لادعائهم أن كَوْنَهُم مصلحين أمر ظاهر. ولهذا ردُّ عليهم بقوله: «إِلَّا أَنْتُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ» [البقرة: ١٢]، مؤكداً بما ترى بالجملة. فالاستثناء لقوته يكون لردِّ شديد الإنكار حقيقة، أو ادعاء. وإنما لضعفها تكون لردِّ الإنكار في الجملة حقيقة أو ادعاء. ويكون للقصر «إنما» مزية على العطف لأنه يفهم منها الحكمان. أعني: الإثبات للمذكور. والنفي عما عداه معاً، بخلاف العطف لأنه يفهم منه أولاً الإثبات، ثم النفي، أو عكسه. نحو: إنما خليلٌ فاهمٌ - خليلٌ فاهمٌ لا حافظٌ. وأحسن مواقعها التعريض نحو: «إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَبْتَابِ» [الرعد: ١٩].

واعلم أن «غير» كإلا في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماع مع «لا» العاطفة؛ فلا يقال: ما علي غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير علي لا نصر.

(١) يكون النفي بغير «ما» كقوله تعالى: «إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» [يوسف: ٣١]. كما يكون الاستثناء بغير «إلا».

ثانياً: يكون القصرُ بـ «إنّما»، نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١). وكقوله:

إنما يشتري المحامدُ حُرّاً طابَ نفساً لهُنَّ بالأثمان

ثالثاً: يكونُ القصرُ بالعطفِ بـ «لا» و«بل» و«لكن»، نحو: الأرضُ متحركةٌ لا ثابتةٌ. وكقول الشاعر:

عُمرُ الفتى ذِكْرُهُ لا طُولُ مُدَّتِهِ وموْتُهُ خِزْيُهُ لا يَوْمُهُ الدَّانِي
وكقوله:

مَا نَالَ فِي دُنْيَاهُ وَإِنْ بُغِيَّةٌ لَكِنْ أَخُو حَزْمٍ يَجِدُ وَيَعْمَلُ

رابعاً: يكونُ القصرُ بتقديم ما حَقُّه التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢) أي: نخضُك بالعبادة والاستعانة.

١ - فالمقصورُ عليه في النفي والاستثناء هو المذكورُ بعد أداة الاستثناء، نحو: وما توفّقي إلا بالله.

٢ - والمقصورُ عليه مع «إنّما» هو المذكورُ بعدها، ويكون مؤخراً في الجملة وجوباً، نحو: إنّما الدنيا غُرُور.

٣ - والمقصورُ عليه مع «لا» العاطفة هو المذكورُ قبلها. والمُقابلُ لما بعدها، نحو: الفخرُ بالعلم لا بالمال.

٤ - والمقصورُ عليه مع «بل» و«لكن» العاطفتين هو المذكورُ بعدهما، نحو: ما الفخرُ بالمالِ بَلْ بالعلم. ونحو: ما الفخرُ بالنسبِ لكن بالتقوى.

٥ - والمقصورُ عليه في تقديم ما حَقُّه التأخيرُ هو المذكورُ المتقدّم. نحو: على الله توكلنا، وكقول المتنبي:

وَمَنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي عَنْ غَيْهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

ملاحظات

أولاً - يُشترط في كلِّ من «بل»، و«لكن» أن تُسبقَ بنفي، أو نهْي. وأن يكونَ المعطوفُ بهما مفرداً، وألاً تُقترن «لكن» بالواو.

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٥.

ثانياً - يُشترطُ في لا إفرادُ معطوفِها، وأن تُسبقَ بإثباتٍ، وألاً يكونَ ما بعدها داخلاً في عموم ما قبلها.

ثالثاً - يكونُ للقصرِ (بإنما) مزيةٌ على العطف، لأنها تفيدُ الإثباتَ للشيء، والنفي عن غيره دفعةً واحدة، بخلاف العطف؛ فإنه يُفهم منه الإثباتُ أولاً، ثم النفي ثانياً، أو عكسه.

رابعاً - التّقديمُ: يَدُلُّ على القصر بطريقِ الذّوق السّليم، والفكرِ الصّائب؛ بخلافِ الثلاثة الباقية فتدُلُّ على القصرِ بالوضع اللّغويّ (الأدوات).

خامساً - الأصلُ أن يتأخّر المعمولُ على عامله إلا لضرورة. ومن يتتبع أساليبَ البلغاء في تقديم ما حقّه التأخير يجد أنهم يريدون بذلك التخصيص.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

أ - قصر حقيقي^(١): وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسبِ الحقيقة والواقع، بألاً يتعدّاهُ إلى غيره أصلاً، نحو: لا إله إلا الله.

ب - وقصر إضافي: وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسبِ الإضافة والنسبة إلى شيء آخر مُعيّن، لا لجميع ما عداهُ، نحو: ما خليلٌ إلا مسافرٌ. فإنك تقصدُ قصرَ السفر عليه بالنسبة لشخصٍ غيره، كمحمودٍ مثلاً. وليس قصدك أنه لا يوجدُ مسافرٌ سواه، إذ الواقعُ يشهدُ ببطلانه.

تنبيهات

الأول - الأصلُ في العطف أن ينصَّ فيه على المثبت له الحكم، والمنفي عنه إلا إذا خيفَ التّطويلُ. وفي الثلاثة الباقية ينصُّ على المثبت فقط.

الثاني - النفي بلا العاطفة لا يجتمع مع «النفي والاستثناء»، فلا تقولُ: ما محمدٌ إلا ذكيٌّ لا غبي. لأنَّ شرطَ جواز النفي «بلا» ألا يكونَ ما قبلها

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقيّ الادّعائي، ويكونُ على سبيلِ المبالغةِ بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يُعتدُّ به.

منفيًا بغيرها. ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من «إنما، والتقديم» فتقول: إنما محمدٌ ذكي لا غبي. وبالدكاء يتقدم محمدٌ لا بالغباوة.

والأصل في العطف «بلا» أن يتقدم عليه مثبت، ويتأخر منفي بعده. وقد يترك إيضاحه اختصاراً، مثل: عليٌ يجيدُ السباحة لا غَيْرَ. أي: لا المصارعة، ولا الملاكمة ولا غير ذلك من الصفات.

الثالث - الأصل في النفي والاستثناء أن يجيء لأمرٍ ينكره المخاطب، أو يشك فيه، أو لما هو منزلٌ هذه المنزلة. ومن الأخير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٢) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ^(١).

الرابع - الأصل في «إنما» أن تجيء لأمرٍ من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره. وإنما يراود تنبيهه فقط. أو لما هو منزلٌ هذه المنزلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَجَبَّبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(٣) ومن الثاني قوله تعالى حكايةً عن اليهود: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٤) فهم قد ادَّعوا أن إصلاحهم أمرٌ جلي لا شك فيه. وقال الشاعر:

أنا الذائدُ الحامي الذمارَ^(٥)، وإنما يدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن، كقول الشاعر:

وما المرءُ إلا كالهلالِ وضوئه يُوافي تمامَ الشهرِ ثم يغيبُ ونحو:

وما لامرئٍ طولُ الخلود، وإنما يخلدُه طولُ الشناء فيخلدُ وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى، كقول الشاعر:

(١) سورة فاطر، الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الرعد، الآية ٤٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١١ .

(٥) الذمار: المال والعرض والأهل والوطن... وكل ما على الإنسان صونه وحمايته.

وما المرء إلا الأضعفان: لسانه ومعقوله، والجسم خلقٌ مُصَوَّرٌ وكقوله:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
و«ذو الفقار» لقبُ سيفِ الإمام علي كرم الله وجهه، وسيفِ العاصِ بن مُنْبه، والقصرُ قد يَنحُو فيه الأديبُ مناحي شتى، كأن يتجه إلى القصرِ الإضافي، رغبةً في المبالغة، كقوله:

وما الدنيا سوى حلمٍ لذيذٍ تُنبِّهه تباشيرُ الصباح
وقد يكونُ من مرامي القصر التعريضُ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِ
الَّذِينَ﴾^(١). إذ ليس الغرضُ من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهرَ معناها، ولكنها تعريضٌ بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسمُ القصرُ باعتبار طرفيه (المقصورُ والمقصور عليه) سواء أكانَ القصرُ حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين:

أ - قصر صفة على موصوف: هو أن تُحْبَسَ الصِّفَةُ على موصوفها وتختصَّ به، فلا يتَّصفُ بها غيره. وقد يتَّصفُ هذا الموصوفُ بغيرها من الصفات: مثاله من الحقيقي: لا رازقَ إلا الله.

ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيمَ إلا سعد.

ب - قصرُ موصوفٍ على صفة: هو أن يُحْبَسَ الموصوفُ على الصِّفَةِ، ويختصَّ بها، دونَ غيرها. وقد يشاركه غيره فيها.

مثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلا خالقُ كلِّ شيءٍ^(٢).

(١) سورة الرعد، الآية ١٩ .

(٢) قصرُ الموصوفِ على الصِّفَةِ في القصر الحقيقي لا يكادُ يوجدُ لتعذرِ الإحاطةِ بصفاتِ الشيء، حتى يمكن إثباتُ شيءٍ منها ونفي ما عداها. ويكثرُ القصرُ الحقيقي في قصرِ الصِّفَةِ على الموصوف، بخلافِ القصرِ الإضافي الذي يأتي كثيراً في كلِّ من قصرِ الصِّفَةِ على الموصوف، وقصرِ الموصوفِ على الصِّفَةِ. واعلم أن المراد بالصفة هنا الصِّفَةُ =

ومثاله من الإضافي، قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ (١)(٢).

المبحث الرابع

في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإضافي بنوعيه السابقين^(٣) على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع:

أ - قصر أفراد: إذا اعتقد المخاطب الشراكة، نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾^(٤) ردأ على من اعتقد أن الله ثالث ثلاثة.

ب - قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي ثبتته نحو: ما سافر إلا علي، ردأ على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي. فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده.

ج - قصر تعيين: إذا كان المخاطب يتردد في الحكم، كما إذا كان متردداً في كون الأرض متحركة أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة، ردأ على من شك وتردد في ذلك الحكم.

واعلم أن القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وبين الحال وصاحبها، وغير ذلك من المتعلقات ولا يقع القصر مع المفعول معه.

= المعنوية التي تدل على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلاً أو غير فعل. فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل ونحوه، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

(١) فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة، ونفى عنه أن يُظن في أمره الخلود؛ فلا يموت، أو يقتل.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) بخلاف القصر الحقيقي بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد انصاف أمر بجميع الصفات، أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك. كيف وفي الصفات ما هي متقابلة، فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي: أفراداً، أو قلباً، أو تعييناً. وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف، كما في المطول، وشرح التجريد.

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

والقصر من ضرُوب الإيجاز الذي هو أعظم ركنٍ من أركان البلاغة: إذ إنَّ جملةَ القصر في مقامِ جملتين. فقولك: ما كاملٌ إلا الله، تُعادلُ قولك: الكمالُ لله، وليس كاملاً غيره.

وأيضاً القصرُ يحدّد المعاني تحديداً كاملاً، ويكثرُ ذلك في المسائل العلمية، وما يماثلها.

تطبيق (١)

وضُخ فيما يلي نوعُ القصر وطريقه:

- ١ - ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ أنفٌ يا مَنْ شمائلُهُ في دهره زَهْرٌ^(١)
- ٢ - ليسَ عارٌ بأن يُقالَ: فقيرٌ إنما العارُ أن يُقالَ: بخيلٌ
- ٣ - وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن هُم ذهبَ أخلاقُهُم ذهبوا
- ٤ - فلما أبى إلا البكاء رَفَذَتْهُ بعينينِ كانا للدموعِ على قَدْرِ^(٢)
- ٥ - مالنا في مديحه غيرُ نظمٍ للمساعي التي سَعاها ووصفُ
- ٦ - بك اجتمع الملكُ المُبددُ شَمْلُهُ وُضُمَّت قَواصٍ منه بعدَ قَواصي^(٣)
- ٧ - سيذكرني قومي إذا جَدَّ جَدُّهُم وفي الليلةِ الظلماءِ يُفْتَقَدُ البدرُ^(٤)

(١) روضة أنف، لم يرعها أحد.

(٢) رفته: أعانه. قدر: مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر.

(٣) المبدد: المفرق. القواصي: جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.

(٤) جد في أمره: اجتهد. والجد بكسر الجيم: الاجتهاد، وضده الهزل. يفتقد: يطلب.

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١-	ما الدهر... .	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢-	إنما العار... .	موصوف على صفة	إضافي	إنما
٣-	إنما الأمم	موصوف على صفة	حقيقي - ادعائي	إنما
٤-	فلما أبى... .	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٥-	مالنا... .	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦-	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧-	وفي الليلة... .	موصوف على صفة	إضافي	تقديم الجار والمجرور

٨ - ما افترقنا في مدحه بل وَصَفْنَا بعض أخلاقه وذلك يَكْفِي
وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ
لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ».

تطبيق (٢)

- ١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾^(١).
- ٢ - قال تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ﴾^(٢).
- ٣ - قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣).
- ٤ - قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٤).
- ٥ - فإن كان في لبس الفتى شَرَفٌ له فما السَّيْفُ إِلَّا غَمْدُهُ والحُمائلُ^(٥)
- ٦ - ليس اليتيمُ الذي قد مَات والدُّهُ بَل اليتيمُ يَتِيمُ الْعِلْمِ والأدبِ

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٨-	ما افترقنا	موصوف على صفة	إضافي	بل

- (١) سورة النساء، الآية ١٧١ .
- (٢) سورة الشعراء، الآية ١١٣ .
- (٣) سورة البقرة، الآية ١٣٢ .
- (٤) سورة يس، الآية ١٥ .
- (٥) جفن السيف: غمده. والحُمائل: جمع حمالة؛ علاقة السيف.

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١-	إنما الله ...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢-	إن حسابهم ...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٣-	لله ما في السموات	حقيقي	صفة على موصوف		التقديم
٤-	إن أنتم ...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥-	فما السيف ...	إضافي	موصوف على صفة	محتمل	النفي والاستثناء
٦-	ليس اليتيم ...	إضافي	صفة على موصوف	قلب	العطف ببل

- ٧ - وما شابَ رأسي من سِنَّينَ تَتَابَعَتْ عليّ، وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ
٨ - إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ
٩ - لَا يَأْلَفُ الْعِلْمَ إِلَّا ذَكِيّ، وَلَا يَجْفُوهُ إِلَّا غَبِيّ.
١٠ - قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَّرَ الْفَارَسَ إِلَّا أَنَا
١١ - إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ وَعَوَارٍ مُسْتَرْدَّةٌ وَرُخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ
١٢ - عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

- ١٣ - مُحَاسِنُ أَوْصَافِ الْمُغْنَيْنِ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَغْبِدِ
١٤ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ فِي النَّفْسِ حَاجَةً تَمُرُّ بِهَا الْأَيَّامُ وَهِيَ كَمَا هِيَ
١٥ - عِنْدَ الْامْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانَ.

اختبار للذاكرة

- هَاتِ جُمْلَةً تَفِيدُ نَجَاحَ سَعْدٍ، وَعَدَمَ نَجَاحِ سَعِيدٍ، بِوَسْطَةِ إِنَّمَا^(١).

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
٧ -	وما شاب ..	إضافي	صفة على موصوف	محمل	العطف ولكن
٨ -	لا يفسدان	إضافي	صفة على موصوف	محمل	العطف ولكن
٩ -	لا يألف العلم إلا ذكي	حقيقي	قصر صفة على موصوف	إفراد	النفي والاستثناء
١٠ -	ما قطر الفارس إلا أنا	إضافي	قصر موصوف على صفة	تعيين	النفي والاستثناء
١١ -	إنما الدنيا هبات	إضافي	قصر صفة على موصوف	قلب	إنما
١٢ -	على الله توكلنا	إضافي	قصر صفة على موصوف	إفراد	التقديم
١٣ -	ما قصبات السبق إلخ	إضافي	قصر صفة على موصوف		النفي والاستثناء
١٤ -	إلى الله أشكو	حقيقي	قصر صفة على موصوف		التقديم
١٥ -	عند الامتحان يكرم إلخ	إضافي	قصر صفة على موصوف		التقديم

(١) إِنَّمَا نَجَحَ سَعْدٌ لَا سَعِيدٌ.

- رُذُّ بطريقِ القصرِ وإنما على مَنْ ظنَّ أَنَّ المطرَ يكثرُ شتاءً في السودان^(١).

أ - مَنْ تُخاطَبُ بالجملة الآتية؟ فيكونُ القصرُ قصرَ قلب^(٢).

ب - مَنْ تُخاطَبُ بالجملة الآتية؟ فيكونُ القصرُ قصرَ أفراد.

ج - مَنْ تُخاطَبُ بالجملة الآتية؟ فيكونُ القصرُ قصرَ تعيين.

وهي : «ما أَدَيْتُ إِلَّا الواجبَ عليَّ».

- غَيْرِ الجملة الآتية بحيثُ تفيدُ القصرَ بالعطف^(٣).

- «بالاختراعاتِ الحديثةِ ارتقتِ الأممُ الغريبةُ».

تطبيق عملي

- لَمْ يَبَقْ سِوَاكَ نَلُودُ بِهِ مِمَّا نَخْشَاهُ مِنَ الْمُحَنِ^(٤)

- إِنَّمَا يَشْتَرِي الْمُحَامِدُ حُرًّا طَابَ نَفْسًا لَهُنَّ بِالْأَثْمَانِ^(٥)

- إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ زَائِلٌ فَاقْتَصِدْ فِيهِ وَخُذْ مِنْهُ وَدَعْ^(٦)

- عُمْرُ الْفَتَى ذِكْرُهُ لَا طَوْلَ مُدَّتِهِ وَمَوْتُهُ خِزْيُهُ لَا يَوْمُهُ الدَّنَانِي^(٧)

(١) إنما يكثرُ المطرُ في السودان ربيعاً لا شتاءً.

(٢) (أ) إذا كان المخاطبُ يعتقدُ أنك أَدَيْتَ غَيْرَ الواجبِ عليك.

(ب) إذا كان المخاطبُ يعتقدُ أنك أَدَيْتَ الواجبَ وغيره.

(ج) إذا كان المخاطبُ متردداً في تأدية الواجب، وغيره.

(٣) ارتقتِ الأممُ الغريبةُ بالاختراعاتِ الحديثةِ لا بغيرها.

(٤) في هذا البيت استثناء بغير إلا.

(٥) يقول: إنَّ شراءَ المحامدِ مقصورٌ على الأحرار، فهم الذين تطيبُ نفوسهم ببذلِ المالِ في سبيلِ الحمد. والذي دلَّ على هذا القصر هو لفظ (إنما). وهذا قصر صفة، وهي الشراء على موصوفٍ وهو الحر.

(٦) فقد قصرَ الدنيا على صفةٍ من صفاتها، وهي كونها متعبةً لا تدومُ لحَيٍّ. وهو كما ترى قصرٌ موصوفٍ على صفة.

(٧) أي: إنَّ حياةَ الإنسان لا تقاسُ بطولِ المدة، ولكن بالذكر الخالد. وإن الموت لا يكونُ بمفارقة الحياة، بل بما يَرْضَى به الأحياء من خزي وهوانٍ، وقد جاء في كُلِّ شطرٍ بقصرٍ، إذ قصرَ العمرَ على الذكرِ في الشطرِ الأول، وقصرَ الموتَ على الخزي في الشطرِ الثاني. والذي دلَّ عليه القصرُ فيهما هو العطفُ (بلا) في قوله: «لا طولَ مدته» «ولا يومه الداني».

- ما نال في دُنياءه وإن بُغِيَةً لكن أخو حَزْمٍ يجدُ وَيَعْمَلُ^(١)
- وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي عَنْ غِيَّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ^(٢)
- بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنِ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالِ^(٣)

تمرين آخر

- عَيْنُ الْمُقْصُورِ، وَالْمُقْصُورَ عَلَيْهِ، وَنَوْعُ الْقَصْرِ وَطَرِيقَتُهُ فِيمَا يَأْتِي:
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٤) ﴿٢٢﴾
 - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾^(٥)
 - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٦) ﴿١٠٥﴾
 - قَالَ ابْنُ الرَّومِي:
 - عَلَطَ الطَّبِيبُ عَلَيَّ غَلْطَةَ مُورِدٍ عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِضْدارِ
 - وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ الطَّبِيبَ وَإِنَّمَا غَلَطَ الطَّبِيبُ إِصَابَةَ الْأَقْدَارِ
 - قَالَ الْمُتَنَبِّي:
 - الظُّلُمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ، فَإِنْ تَجِدَ ذَا عِفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
 - قَالَ الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ:

(١) يقول: إنَّ المهمل لا ينالُ أمانِيه، إنما الذي ينالُ ما يَرْجوه هو الحازم الذي يجدُ ويعملُ.
فقصرَ نيلَ البغية على أخي الحزم، وطريقُ القصر هنا هو العطف بلكن.

(٢) يقول: إنَّ لَوْمَ مَنْ لَا يرجعُ عن باطلِهِ. وإن التحدُّثَ إِلَى مَنْ لَا يعي عنكَ ولا يفهم، مقصُورٌ على صفة لا يفارقها، وهي كونه بلاءً ونكداً. والذي دلَّ على هذا القصر تقدُّيمُ الخبر على المبتدأ.

(٣) قصرَ بناءَ الملك على العلم والمال بتقديم الجارِّ والمجرور على الفعل.

(٤) سورة الغاشية، الآيتان ٢١ و ٢٢ .

(٥) سورة الكهف، الآية ١١٠ .

(٦) سورة النحل، الآية ١٠٥ .

وما مُنِغْتَ دَارٌ وَلَا عِزٌّ أَهْلُهَا
- قال حَطَّانُ بْنُ الْمَعْلَى:
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا
- وقال رجلٌ من بني أسد:
أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْوُدِّ وَدٌّ تَطَوَّعَتْ
- قال أبو تمام:
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرِّزِّ
وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ
- قال المتنبي:
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ^(١) حَمَلْتُهُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي
- وقال أيضاً:
وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى
- وقال أبو فراس الحمداني:
إِذَا الْخِلُّ لَمْ يَهْجُزْكَ إِلَّا مَلَالَةٌ^(٢)
- وقال أبو العتاهية:
عَلَّلِ النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَإِلَّا
إِنَّمَا أَنْتَ طَوَّلَ عُمْرِكَ مَا عُمِدَ
- قال مِهْيَارُ:
وَمَا الْحَرَصُ إِلَّا فَضْلَةٌ لَوْ نَبَذْتَهَا
- قال الطُّغْرَايُ:
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا

مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَاءِ وَالْقَنَائِلِ
أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
بِهِ النَّفْسُ لَا وَدٌّ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبٌ
رَأْسٍ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
وَنَعِيمِ طَلَائِعِ الْأَجْسَادِ
فَزَيْنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدِّدَا
إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً
وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَى الْفَتَى أَمْنَا
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفِرَاقُ عِتَابُ
طَلَبْتُ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا
حِزَّتْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
لَمَّا فَاتَكَ الرِّزْقُ الَّذِي أَنْتَ آكِلُهُ
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ

(١) الرمح الصلب.

(٢) السأم والضجر.

- قال الغزّي:

ليس التَّغْرُبُ أَنْ تَشْكُو نَوَى سَفَرٍ وإنَّما ذاك فَقْدُ العِزِّ في الوَطَنِ
- وقال أيضاً:

إنَّما هذه الحِياةُ مَتاعٌ والْفِيهِ العَبِيُّ مَنْ يَضْطَفِيها
ما مَضَى فاتٌ، والمؤمِّلُ غَيْبُ ولكَ السَّاعةُ التي أَنْتَ فيها
- وقال الأرجاني:

تَطَلَّعْتُ في يَوْمِي رِخاءٍ وشِدَّةٍ وَنادَيْتُ في الأحياءِ هَلْ مِنْ مُساعِدٍ؟
فلم أَرِ فيما ساءَني غيرَ شامِتٍ ولم أَرِ فيما سرَّني غيرَ حاسِدٍ
- وقال الأبيوردي:

ومن نَكِدِ الأيامِ أنْ يبلُغَ المَنى أخو اللُّؤمِ فيها والكَريمُ يخبُ
- وقال أيضاً:

ولا تَضْطَنعَ إلا الكَرامَ؛ فإنَّهم يجازُونَ بالنَّعماءِ مَنْ كان مُنْعِمًا

أسئلة على القصر وأنواعه تُطلب أجوبتها

ما هو القصر لغةً واصطلاحاً؟ كم قسماً للقصر؟ ما هو القصر الحقيقي؟
ما هو القصر الإضافي؟ كم قسماً للقصر الحقيقي؟ كم قسماً للقصر الإضافي؟
ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟ ما مثال قصر الصفة على
الموصوف الإضافي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟ ما
مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟ كم قسماً للإضافي بقسميه؟
على مَنْ يُرَدُّ بقصر الأفراد؟ على مَنْ يُرَدُّ بقصر القلب؟ على مَنْ يُرَدُّ بقصر
التَّعيين؟ ما هي طرق القصر المصطلح عليها في هذا الباب؟ ما أقواها؟ أيمكن
وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول؟
أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ أيمكن وقوع القصر بين
المفعولين؟ متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ويكثر تأخير المقصور عليه؟
لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟ ويكثر مع النفي والاستثناء؟

تطبيق عام على القصر وأنواعه والأبواب السابقة

- لا حول ولا قوة إلا بالله - جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد. المسند إليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور. ولا نظر لتقديم الخبر. لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني، ولا يعدون حذفه إيجازاً. والحُكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لإفادة القصر. ففيهما قصرُ صفةٍ وهو التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة على موصوف، وهو الذات الأقدس. وهو قصرٌ إضافي طريقه النفي والاستثناء. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصرُ قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو أفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند (نعبد ونستعين)، والمسند إليه الضمير المستتر فيهما. وهما مقيدتان بالمفعولين (إياك)، وقدم المفعولين لإفادة القصر، ففيهما قصرُ صفةٍ، وهو العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس. طريقه تقديم ما حقه التأخير، وهو إضافي. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى، فهو قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو أفراد. أو على من يتردد فهو تعيين.

- إنما شوقي شاعرٌ - فيه قصرُ موصوف وهو (شوقي) على صفةٍ وهو الشعرُ. وطريقه إنما، وهو قلب، أو أفراد، أو تعيين على حسب حال المخاطب.

- الله الغفور الرحيم - فيه قصرُ الصفة وهو المغفرة والرحمة، على موصوف وهو الله تعالى. طريقه تعريف المسند بأل. وهو قلب، أو أفراد، أو تعيين على حسب حال المردود عليه.

- إنما الشجاع عليّ - فيه قصرُ صفةٍ وهو الشجاعة، على موصوف وهو (علي)، وطريقه (إنما).

- المرء بأدابه لا بثيابه - فيه قصرُ الموصوف على الصفة، قصرُ قلبٍ بينَ المسندِ إليه والمسند. طريقُه العطف بلا.
- إنما الإلهُ واحد - فيه قصرُ الموصوف على الصفة، قصرًا حقيقياً. طريقُه (إنما) وهو واقعٌ بين المسندِ إليه والمسند.

* * *

الباب الثامن

في الفصل والوصل

تمهيد:

العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يُصنع فيها من العطف والاستئناف، والتَّهْدِي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعبُ المسلك، لا يُوقَفُ للصَّواب فيه إلا مَنْ أوتيَ قسطاً موفوراً من البلاغة، وطُبِعَ على إدراك محاسنها، ورزق حظاً من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب، ودِقَّةِ مَلَكِهِ، وعَظِيمِ خَطَرِهِ، وكثيرِ فائدته، يدلُّ لهذا أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة. فقد سئل عنها بعضُ البلغاء، فقال: هي «معرفةُ الفصل والوصل».

تعريف الفصل والوصل في حدود البلاغة

الوصلُ: عطفُ جملةٍ على أخرى بالواو، والفصل: ترك هذا العطف^(١)

(١) إذا توالى الجملتان، لا يخلو الحال من أن يكونَ للأولى محلٌّ من الإعراب، أو لا. وإن كان لها محلٌّ من الإعراب فلا بُدَّ من أن يُقصدَ تشريك الثانية لها في حكم الإعراب، أو لا. فإن قصدَ التشريك عطفَ الثانية عليها، نحو: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وإلا فصلت عنها نحو: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٤ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، لم يعطف قوله: (اللَّهُ يستهزئ بهم) على ما قبله لثلاثين إشارة في حكم المفعولية للقول. وهو ليس مما قالوه كما سيأتي. وإن لم يكن لها محلٌّ من الإعراب، فإن كان لها حكمٌ لم يُقصدَ إعطاؤه للثانية وجبَ الفصل، دفعاً للتشريك بينهما، نحو: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ٧ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: ٨ و٧]، لم يعطف قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ على ما قبله لثلاثين إشارة في حكم القصر فيكون «تعالى» مقصوراً على هذا العلم، وإن لم يكن لها هذا الحكم، نحو: زيدٌ خطيبٌ وعمرٌ متشرعٌ، أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو: إنما زيدٌ كاتبٌ وعمرٌ شاعرٌ، وجبَ الوصل كما رأيت ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقاً منقطعةً عن الأخرى انقطاعاً كاملاً بحيث لا يصلح ارتباطهما، أو متصلةً بها اتصالاً كاملاً، بحيث لا تصحُّ المغايرة بينهما. فيجبُ الفصلُ لتعذر ارتباطهما =

بين الجملتين، والمجيء بها مَثَوْرَةٌ، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعدَ الأخرى .
فالجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تَأْتِي فِي الْأَسَالِيبِ الْبَلِيغَةِ مَفْصُولَةً أحياناً، ومَوْصُولَةً أحياناً. فَمِنْ الْفَصْلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا سَتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ آدَفَعُ بِالْأَيِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). فَجُمْلَةُ (ادفع) مَفْصُولَةٌ عَمَّا قَبْلُهَا. وَلَوْ قِيلَ: «وادفع بالتي هِيَ أَحْسَنُ» لَمَا كَانَ بَلِيغاً.

وَمِنْ الْوَصْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢) عطف جملة ﴿وَكُونُوا﴾ على ما قبلها. وَلَوْ قِيلَ: «اتقوا الله تكونوا مع الصادقين» لَمَا كَانَ بَلِيغاً.

فَكُلُّ مَنْ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ يَجِيءُ لِأَسْبَابٍ بَلَاغِيَّةٍ. وَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْوَصْلَ جَمْعٌ وَرِبْطٌ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ (بِالْوَاوِ خَاصَّةً) لِصَلَةِ بَيْنَهُمَا فِي الصُّورَةِ وَالْمَعْنَى، أَوْ لِدَفْعِ اللَّبْسِ.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُ الرِّبْطِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ، إِمَّا لِأَنَّهُمَا مُتَحَدَتَانِ صُورَةً وَمَعْنَى، أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَحَدَتَيْنِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَا صِلَةَ بَيْنَهُمَا فِي الصُّورَةِ أَوْ فِي الْمَعْنَى.

بلاغة الوصل:

وبِلاغَةُ الْوَصْلِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْوَاوِ الْعَاطِفَةِ فَقَطْ دُونَ بَقِيَّةِ حُرُوفِ الْعِطْفِ، لِأَنَّ الْوَاوَ هِيَ الْأَدَاةُ الَّتِي تَخْفَى الْحَاجَةُ إِلَيْهَا، وَيَحْتَاجُ الْعِطْفُ بِهَا إِلَى لُطْفٍ فِي الْفَهْمِ، وَدِقَّةٍ فِي الْإِدْرَاكِ، إِذْ لَا تَفِيدُ إِلَّا مُجَرَّدَ الرِّبْطِ. وَتَشْرِيكَ

= المنقطعتين بالعطف، وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه. واعلم أنه لا يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملاً بالواو أو غيرها. فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو: الشمس والقمر والسماء والأرض، محدثة (مقبول). ونحو: الشمس والأرنب والحمار، محدثة (غير مقبول). لكن إصلاحهم اختصاص الوصل والفصل (بالجمل، وبالواو)، فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة، لا المتحدة ولا المتباينة. وإلا فصل.
واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قُدِّرَ مناسب للمقام، نحو: ﴿أَوْكَلَمَا عَنْهُدُوا عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠]. فيقْدَرُ: (أكفروا وكلما عاهدوا)، لأن الهمزة تستدعي فعلاً.

(١) سورة فصلت، الآية ٣٤ .

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩ .

ما بعدها لِمَا قبلها في الحكم. نحو: مضى وقتُ الكسلِ وجاءَ زمنُ العملِ، وقُمَ واسعٌ في الخير.

بخلافِ العطفِ بغيرِ الواو فيفيدُ مع التشريكِ معانيَ أخرى، كالترتيب مع التّعقيب في (الفاء)، وكالتّرتيب مع التّراخي في (ثم)، وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عُطفَ بواحد منها ظهرتِ الفائدةُ، ولا يقعُ اشتباهٌ في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكونَ بينَ الجملتين جامعٌ كالْمُوافقة في نحو: يقرأ ويكتبُ. وكالْمُضادّة في نحو: يضحك ويبكي. وإنّما كانتِ المضادّة في حكم المُوافقة لأنّ الذّهنَ يتصوّرُ أحدَ الضدين عند تصوّر الآخر، فالعلمُ يخطرُ على البال عند ذكرِ الجهل. كما تخطر الكتابةُ عند ذكرِ القراءة.

والجامعُ يجب أن يكونَ باعتبارِ المسند إليه والمسند جميعاً. فلا يُقال: خليلٌ قادمٌ والبعيرُ ذاهبٌ، لعدم الجامع بين المسند إليهما. كما لا يقال: سعيدٌ عالمٌ و خليلٌ قصيرٌ، لعدم الجامع بين المسندين. وفي هذا الباب مبحثان:

المبحث الأول

في إجمال مواضع الوصل

الوصلُ: عطفُ جملةٍ على أخرى بالواو. ويقع في ثلاثة مواضع^(١):
الأول - إذا اتحدتِ الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط^(٢)، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصلَ بينهما وكانت بينهما مناسبة تامّة في المعنى. فمثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ^(٤)، ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿فَادْعُ

(١) الوصل يقع وجوباً بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين، كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعوّل عليه اتحادهما في المعنى لأن العبرة به، ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية.

(٣) في هذا الكلام جملتان خبريتان، وُصلت الثانية بالأولي؛ لأنّ بين الجملتين تناسباً في الفكر. فإذا جرى في الذهن حالُ أحدِ الفريقين تصوّر حالِ الفريق الآخر.

(٤) سورة الانفطار، الآيتان ١٤ و١٣.

وَأَسْتَقِيمَ كَمَا أُمِرْتُ^(١) وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا^(٢)﴾.

وصل جملة ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ بجملة ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه، ويختص به. ومن هذا النوع قول المرحوم شوقي بك:

عالجوا الحكمة واستشفوا بها وانشدوا ما حلّ منها في السيز
فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) في طلبها، والانتفاع بها.

ومثال المختلفتين قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ^(٣)﴾.

أي: إني أشهد الله وأشهدكم^(٤). فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظاً، ولكنها خبرية في المعنى^(٥).

ونحو: اذهب إلى فلان، وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً، ولكنها إنشائية معنى. أي: وقل له فالاختلاف في اللفظ، لا في المعنى المعول عليه، ولهذا وجب الوصل.

وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما. وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني - دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهم خلاف المقصود^(٦) كما تقول مجيباً لشخص

(١) سورة الشورى، الآية ١٥ .

(٢) سورة النساء، الآية ٣٦ .

(٣) سورة هود، الآية ٥٤ .

(٤) والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية، ولم تذكر كالأولى خبرية، لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٥) اعلم أن صور الجملتين ثمانية، لأنهما إما خبريتان لفظاً ومعنى، أو معنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظاً، أو بالعكس، وإما إنشائيتان لفظاً ومعنى، أو معنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية، أو بالعكس كما مثلنا.

(٦) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل، نحو: سافر فلان سلمه الله.

بالتنفي «لا وشفاه الله»^(١)، لمن يسألك: هل برئ علي من المرض؟ فترك الواو يُوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له^(٢). ولهذا وجب أيضاً الوصل.

وعطفَ الجملة الثانية الدُعائية الإنشائية على الجملة الأولى الخبرية المصورة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث - إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، نحو: علي يقول ويفعل^(٣).

(١) فجملة (شفاه الله) خبرية لفظاً إنشائية معنى . والعبرة بالمعنى . واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» جملة خبرية، إذ التقدير: «لا بُرء حاصل له». وهكذا يُقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به .

(٢) كما حُكي أن أبا بكر مرّ برجل في يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا الثوب؟ فقال الرجل: لا - يرحمك الله. فقال أبو بكر: لا تقل هكذا، قل: لا، ورحمك الله. وهكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟ فقل: لا وشفاه الله. حتى لا يتوهم السامع أنك تدعو عليه، وأنت تريد الدعاء له. فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبرية، والثانية إنشائية في المعنى، لأنها لطلب الرحمة والشفاء. وكان الواجب الفصل بينهما، لولا ما يُسببه الفصل من الوهم.

(٣) فجملة (يقول) في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة (يفعل) معطوفة على جملة (يقول). وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ، فاشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي يوجب الوصل. وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضي مشاركة الثاني للآخر في إعرابه.

والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمى والفعلية، والفلتان في الماضوية والمضارعية . أي: أن تعطف الاسمى على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها. وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الأفراد، والجملة، والظرفية. ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض:

أ- كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿فَقَرِيحًا كَذَبَتْمْ وَفَرِحًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].
ب- وكإفادة التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى، نحو: ﴿أَجْتَنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّائِيينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥]، فقد لوحظ في الأولى إحداث تعاطي الحق، وفي الثانية الاستمرار في اللعب، والثبات على حالة الصبا. ونحو: الصديق يكتابني وأنا مقيم على وده، وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبات في الجملة الاسمى. ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في إحداهما، والمضارعية في الأخرى.

تصريح

وضّح أسباب الوصل في الجمل الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(١).

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾^(٢).

- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣) ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٤) ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥).

- وقال ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

- قال أبو العتاهية:

تأتي المكاره حين تأتي جُمْلَةٌ
وأرى السُرورَ يجيء في الفَلَتَاتِ
- وقال المتنبي:

وكلُّ امرئٍ يُولي الجميلَ مُحَبَّبٌ
وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العزَّ طيِّبٌ
- وقال المعري:

اضرب وليدك واذلله على رشيد
ولا تقل: هو طفلٌ غيرُ مُحْتَلِمٍ
فربُّ شقِّ برأسٍ جرَّ منفعةٍ
وقس على نفعِ شقِّ الرأسِ في القلمِ
- وقال:

يصون الكريمُ العِرضَ بالمالِ جاهداً
وذو اللؤمِ للأموالِ بالعِرضِ صائناً
- وقال مسلم بن الوليد:

نجدُ بالنفسِ إن ضنَّ الجوادُ بها
والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٥ .

(٣) سورة الحج، الآيات من ٤٩ إلى ٥١ .

- وقال أبو نواس :

نسيبك مَنْ ناسبت بالود قلبه وجارك مَنْ صافيت لا مَنْ تُصايبُ^(١)

- وقال الغزّي :

إنما هذه الحياة متاع والسفیه الغبی مَنْ يضطفيها
ما مضى فات، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

تصريح آخر

بين أسباب الفصل في الأمثلة الآتية :

- قال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٢﴾ .

- وقال تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾^(٣) .

- وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾^(٤) .

- وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ^(٥) .

- وقال تعالى : ﴿وَإِذَا ثُلْثَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا ۝٦﴾^(٦) .

- وقال تعالى : ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي ۝٥٤ قَالُوا بِشْرْنَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْفَاطِنِينَ ۝٥٥﴾^(٧) .

(١) تصايب: أي من هو قريبك .

(٢) سورة يس، الآيتان ٧٨ و ٧٩ .

(٣) سورة الشرح، الآيتان ٥ و ٦ .

(٤) سورة القصص، الآية ٤ .

(٥) سورة البقرة، الآيتان ٦ و ٧ .

(٦) سورة لقمان، الآية ٧ .

(٧) سورة الحجر، الآيات من ٥١ إلى ٥٥ .

- قال أبو العتاهية :

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى
لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا
كُلُّ امْرِئٍ فِي نَفْسِهِ

- قال أبو تمام :

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ
لَا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ الْعُرْفِ مَحْمَدَةً

- وقال المتنبي :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

- وقال الشريف الرضي :

لَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا لَأَنَّ جَانِبَهُ

- وقال المعري :

لَا يُعْجِبُكَ إِقْبَالُ يُرِيكَ سَنَا^(٢)

- وقال الخفاجي :

النَّاسُ شَتَّى وَإِنْ عَمَّتْهُمْ صُورٌ

- وقال أبو فراس :

لَا تَطْلُبَنَّ دُنُوًّا

أَبْقَى لِأَسْبَابِ الْمَوَدِّ

- وقال الحطّية :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَغْدَمُ جَوَازِيَهُ

مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ
مَ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ
أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنْ قَرِينِهِ

عَنِ الثَّنَاءِ، وَإِنْ أَعْلَى بِهِ الثُّمْنَا
لِغَيْرِ شَيْءٍ سِوَى اتِّحَانِهِ الْحَنَّا
وَلَا يَمُنُّ إِذَا مَا قَلَدَ الْمُنْنَا

الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

خُسُونَةُ الصِّلِ^(١) عُقْبَى ذَلِكَ اللَّيْنِ

إِنَّ الْخُمُودَ لِعَمْرِي غَايَةُ الضَّرَمِ^(٣)

هِيَ التَّنَاسُبُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْأَلِ^(٤)

رٍ مِنْ خَلِيلٍ أَوْ مُعَاشِرِ

دَةٍ أَنْ تَزُورَ وَلَا تُجَاوِزَ

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

(١) الحية.

(٢) ضوء البرق.

(٣) الاشتعال.

(٤) السراب.

- وقال أعرابي قتل أخوه ابناً له :
أقول للنفس تأساء^(١) وتغزية :
إحدى يدي أصابثني ولم ترد
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي
كلاهما خلف من فقد صاحبه
- وقال الغزي :
من أغفل الشجر لم تعرف مناقبه
لا يجتنى ثمر من غير أغصان
- وقال ابن شرف :
لا تسأل الناس والأيام عن خبر
ولكل حسن آفة موجودة
هما يبثانك الأخبار تفصيلاً
إن السراج على سناه يدخن
بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

المبحث الثاني

في مجمل مواضع الفصل^(٢)

- من حقّ الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض أن تربط بالواو لتكون
على نسق واحد. ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها. ويسمى هذا
فصلاً. ويقع في خمسة مواضع :
- الأول - أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي، حتى كأنهما
أفرغا في قالب واحد، ويسمى ذلك «كمال الاتصال».
- الثاني - أن يكون بين الجملتين تباين تام بدون إيهام، خلاف المراد.
ويسمى ذلك «كمال الانقطاع».
- الثالث - أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويسمى ذلك «شبه كمال
الاتصال».
- الرابع - أن يكون بين الجملة الأولى والثانية جملة أخرى ثالثة متوسطة

(١) السلوان .

(٢) الفصل: ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة
المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى .

حائلة^(١) بينهما. فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لثوهم أنها معطوفة على المتوسطة فيترك العطف، ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع».

الخامس - أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم. ويسمى ذلك «التوسط بين الكمالين».

المبحث الثالث

في تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحياناً تتقارب الجمل في معناها تقارباً تاماً، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى. وقد تنقطع الصلة بينهما.

إما لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية.

وإما لتباعد معنهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة، وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية. وهي:

الموضع الأول - «كمال الاتصال» وهو اتحاذ الجملتين اتحاداً تاماً، وامتزاجاً معنوياً، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها:

أ - بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، نحو: ﴿وَأَتَقُوا إِلَيْكَ أَمَدُكُمْ يَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ أَمَدُكُمْ بِأَقَلِّهِمْ وَيَنِينَ ﴿١٣٣﴾ (٢) (٣).

ب - أو بأن تكون الجملة الثانية بياناً لإبهام في الجملة الأولى كقوله

(١) مانعة .

(٢) هذا في بدل البعض. وأما في بدل الكل، فنحو قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَوَدَا مِثْلًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلًا أَوَدَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ [المؤمنون: ٨١ و٨٢]، فجملة «قالوا أودا مثنا وكنا تراباً» كالبدل المطابق. وأما بدل الاشتغال فنحو قوله:

أقول له: ارحل لا تقيم عندها وإلا، فكن في السر والجهر مسلماً
فجملة (لا تقيم) بمنزلة البدل من جملة (ارحل) بدل اشتغال، لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان ١٣٢ و ١٣٣ .

تعالى : ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾^(١)
فجمله (قال يا آدم): بيان لما وسوس به الشيطان إليه .

ج - أو بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى بما يشبه أن يكون
توكيداً لفظياً أو معنوياً، كقوله تعالى : ﴿فَهَلْ أَلْكَفِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤُوسًا﴾^(٢) .
وكقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)
﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ ءَامِنُوا﴾^(٤) فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد
الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه، ويُوجبُ الفصل .
الموضع الثاني - «كمال الانقطاع» وهو اختلافُ الجملتين اختلافاً تاماً :

أ - بأن يختلفا خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى، أو معنى فقط . نحو: حضرَ
الأميرُ حفظه الله، ونحو: تكلمَ إني مُضغٌ إليك، وكقول الشاعر:
وقال رائدُهُمْ: أُرْسُوا نُزَاوِلَهَا فَحَتَّفُ كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارِ^(٥)
ب - أو ألا تكونَ بين الجملتين مناسبةٌ في المعنى ولا ارتباط . بل كلُّ
منهما مستقلٌّ بنفسه، كقولك: عليّ كاتبٌ، الحمامُ طائرٌ، فإنه لا مناسبةٌ بين
كتابة عليّ، وطيْران الحمام .
وكقوله :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ
فالمانعُ من العطف في هذا الموضع أمرٌ ذاتيٌّ لا يمكنُ دفعه أصلاً وهو
التباينُ بين الجملتين . ولهذا وجبَ الفصل، وتركُ العطف . لأن العطفَ
يكون للربط، ولا ربطَ بين جملتين في شدة التباعد وكمال الانقطاع .

الموضع الثالث - «شبه كمال الاتصال» وهو كونُ الجملة الثانية قويةً
الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصلُ

(١) سورة طه، الآية ١٢٠ .

(٢) سورة الطارق، الآية ١٧ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٨ و ٩ .

(٤) أي أوقفوا السفينة كي نباشرَ الحرب، ولا تخافوا من الموت، فإن لكل أجل كتاباً، فالمانعُ
من العطف في هذا الموضع أمرٌ ذاتي لا يمكنُ دفعه أصلاً، وهو كونُ إحداهما جملةً
خبرية، والأخرى إنشائية، ولا جامعَ بينهما .

عنها، كما يُفَصِّلُ الجواب عن السؤال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)، ونحو قول الشاعر:

زعمَ العواذلُ أنني في غمرة صدقوا، ولكن غمرتي لا تنجلي
كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا^(٢).

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جوابٌ عن سؤال نشأ من الأولى «لِمَ لا تُبرئ نفسك؟». فقال: «إن النفس لأمارَةٌ بالسوء». فهذه الرابطة القويّة بين الجملتين مانعةٌ من العطف. فأشبهت حالة اتحاد الجملتين. وبذلك ظهر الفرقُ بين كمالِ الاتصال، وشبه كمالِ الاتصال.

(٢) سورة يوسف، الآية ٥٣.

(٣) وبيان ذلك بعبارةٍ أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان، فذلك على خمسة أحوال:
أولاً - أن تكون الثانية بمعنى الأولى، أو جزءاً منها، فيجب تركُ العطف لأن الشيء لا يعطفُ على نفسه، وكذا الجزء لا يعطفُ على كله. فيقال حينئذٍ: إن بينَ الجملتين كمالِ الاتصال.

ومواضعه:

أ- أن تكون الثانية تأكيداً للأولى، مثل قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

ب- أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، مثل: أطلعْتُ الله، أذيتُ الصلاة.

ج- أن تكون الثانية بياناً للأولى، مثل: بثني شكواه، قال: إني لا أجدُ قوتَ يومي.
ثانياً - أن تكون الثانية مبالغةً للأولى تمامَ المبالغة. فيجب تركُ العطف، لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين المتباينين، فيقال: بين الجملتين كمالُ انقطاع، ومواضع ذلك:
أ- أن تختلفا خبراً وإنشاءً مثل: مات فلانٌ، رحمه الله. إلا إذا أُوهم تركُ العطف خلافَ المقصود، فيجب العطفُ. نحو: لا وشفاك الله.

ب- أن تتحدا خبراً وإنشاءً، ولكن لا يوجدُ بينهما رابطٌ، مثل: القمرُ طالعٌ، أكلتُ كثيراً.
ثالثاً - أن تكون الجملتان متناسبتين، وبينهما رابطة. ويسمى ذلك «التوسط بين الكمالين». وذلك على نوعين:

أ- ألا يمنع من العطف مانعٌ فيعطف، مثل اجتهدوا وتادبوا.

ب- أن يمنع من العطف مانع وهو عدمُ قصدِ التشريك في الحكم، فيمتنعُ العطف، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْكَ شِيعَتُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤ و ١٥].

رابعاً - أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى، لأنها جوابٌ عن سؤال يفهم من الأولى. فهذه الرابطة القويّة تمنع العطف. لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين. ويسمى ذلك «شبه كمال الانفصال»، مثل: رأيتُه مبتسماً، أظنه نجح.

خامساً - أن تكون الأخيرة مناسبةً للأولى. ولا مانع من عطفها عليها. ولكن يعرضُ حائلٌ =

ونحو:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدهُ الحدَّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ
فكأنه استفهم، وقال: لِمَ كَانَ السيفُ أصدقَ؟ فأجاب بقوله: في حدهُ:
إلخ . فالمانعُ من العطف في هذا الموضع وجودُ الرابطةِ القويَّةِ بين
الجمليتين، فأشبهتُ حالةَ اتحادِ الجمليتين، ولهذا وجب أيضاً الفصل .

الموضع الرابع - «شبه كمال الانقطاع»، وهو أن تُسَبِّقَ جملةٌ بجمليتين
يصحُّ عطفُها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فسادٌ
في المعنى، فيتركُ العطفُ بالمرَّةِ دفعاً لتوهُم أنه معطوفٌ على الثانية، نحو:
وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بدلاً، أراها في الضلال تهيِّمُ
فجملة «أراها» يصحُّ عطفُها على جملة «تظنُّ»، لكن يمنعُ من هذا توهُمُ
العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملةُ الثالثةُ من مزنوناتِ سلمى، مع
أنه غيرُ المقصود. ولهذا امتنع العطفُ بتاتاً، ووجب أيضاً الفصل .

والمانعُ من العطف في هذا الموضع أمرٌ خارجيٌّ احتمالي، يمكنُ دفعه
بمعونةِ قرينة. ومن هذا، ومما سبق، يُفهمُ الفرقُ بين كلٍّ من «كمال
الانقطاع» و«شبه كمال الانقطاع».

الموضع الخامس - التوسطُ بين الكمالين مع قيام المانع، وهو كونُ
الجمليتين مُتناسبتين، وبينهما رابطةٌ قويَّةٌ، لكن يمنعُ من العطف مانعٌ، وهو
عدمُ قصدِ التشريك في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا

= بينهما، وهو جملةٌ أخرى ثالثةٌ متوسطة. فلو عطفَتِ الثالثةُ على الأولى المناسبة لها لتوهُمُ
أنها معطوفةٌ على المتوسطة. فامتنع العطفُ بتاتاً، وأصبحتِ الجملتان كأنهما منقطعتانِ بهذا
الحائل. ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع» نحو: قول الشاعر:

وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بدلاً، أراها في الضلال تهيِّمُ
واعلم أن التركيبَ الذي تجاذبتُ فيه أسبابُ الوصل وتعاذلتِ دواعيه قد يفصلُ إمَّا لمانع
من تشريك الجملة الثانية مع الأولى، ويسمى قطعاً كما سبق. وإما لجعله جوابَ سؤال
مقدر لإغناء السامع عنه، أو لكرهه سماعه له لو سأل، أو لكرهه انقطاع كلامه بكلامِ
السائل، أو للاختصار. ويسمى الفصلُ لذلك استثنافاً، كقوله:

في المهدٍ ينطقُ عن سعادةٍ جدِّه أثرُ النجابةِ ساطعُ البرهانِ
على تقدير أنه جواب: كيف ينطق وهو رضيعٌ لم يبلغ أوانَ النطق؟

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾ .

فجملته «اللّه يستهزئ بهم» لا يصحّ عطفها على جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لاقتضائه أنّه من مَقُولِ المنافقين . والحال أنّه من مقوله تعالى: «دعاء عليهم» ولا جملة على ﴿قَالُوا﴾ لثلاثي توهم مشاركته له في التقيد بالظرف . وأنّ استهزاء الله بهم مقيّد بحال خُلُوهُم إلى شياطينهم . والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غير مقيّد بحالٍ من الأحوال، ولهذا وجب أيضاً الفصل .

تنبيهان

الأول - لما كانت الحال تجيء جملةً، وقد تقترب بالواو، وقد لا تقترب، فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة. (٢)

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٤ و ١٥ .

(٢) بيان ذلك أن الحال إما مؤكدة، فلا واو للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررّة لمضمونها نحو: سعد أبوك كريم . وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران: الحصول والمقارنة، فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا تحتاج لواو للاتحاد .

وأما الحال الجملة، فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى لوجود الحصول والمقارنة معاً . فلا حاجة للربط بها، نحو: ﴿وَيَكَاذِبُ آبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] . ونحو: قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز: وجاؤا أباهم عشاءً ويكون، ولا قدم الأمير وتتسابق الفرسان أمامه . وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو، التي تمتنع فيها الواو .

الثانية - الحال الواقعة بعد عاطف، نحو: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْتَايْنَتَا أَوْ هُمَ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٤] .

الثالثة - المؤكدة لمضمون الجملة، نحو: هو الحق لا شك فيه، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] .

الرابعة - الماضي التالي، ما تكلم زيد إلا قال خيراً . وقيل: يجوز اقترائه بالواو، كما ورد في قوله:

نعم امرأ هريم لم تغر نائبة
إلا وكان لمرتاع بها وزراً
الخامسة - الماضي المتلواً بأو . نحو: لأضربته ذهب أو مكث ، ومنه قول الشاعر:

كن للخليل نصيراً جاز أو عدلاً
ولا تشع عليه جاد أو بخلاً

السادسة - المضارع المنفي بلا، نحو: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤] ، =

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

- ١ - إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا»، أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: ما تكلم فؤادٌ إلا قال خيراً، وكقول الشاعر:

كن للخليل نصيراً جازاً أو عدلاً ولا تشح عليه جاداً أو بخلاً

- ٢ - إذا كان فعلها مضارعاً مثبتاً أو منفيّاً بـ «ما - أو - لا» نحو:

= ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهَيْدُودَ﴾ [النمل: ٢٠]، وقوله:

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب
السابعة- المضارع المنفي بما، كقوله:

عهدتُك ما تُضرب وفيك شبيب فما لك بعد الشيب صباً مُتيماً؟

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الاسمية لدالاتها على الثبوت، لا على الحصول والمقارنة، فيجب فيها الواو، نحو: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقد يكتفى فيها بالضمير ثدوراً، نحو: كلمته فوه إلى في، أي مشافهة. ثم الماضي مثبتاً لعدم المقارنة فيحسُن معها الواو، لأن الماضي يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة.

وتجب «قد» تحقيقاً أو تقديرًا، لتقرُّبه من الحال، أي لتجعل «قد» الفعل الماضي الدال على حصول متقدم، لا حصول حال النسبة قريباً من حال النسبة، لا من حال التكلم؛ إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم. وإنما اكتفي بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران؛ إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً، وإما لأنه يعتبر قرُبها في الفعل هيئة للفعل.

فإذا قلت: جاءني زيد وقد ركب. فكانك: نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له، أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه، وحالاً له.

قالوا: وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو. وهو التالي إلا والمثلث بأو. لكن في «شرح الرضي» أنهما قد يجتمعان بعد إلا، نحو: ما لقيته إلا وقد أكرمني. ويلى الماضي المبتدأ الماضي المنفي، لأنه هيئة للفعل بالتأويل. لأن قولك: جاء زيد ليس راكباً - في قوة: جاء زيد ماشياً، فيتحقق الحصول أو يستمر غالباً. فيقارن كذلك فيحسُن ترك الواو نظراً إلى تحقق الحصول والمقارنة. ويجوز ذكرها أيضاً نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل، ونظراً إلى كون استمراره أغلباً لا دائماً.

والأحسن في الظرف إذا وقع حالاً ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد. تقول: نظرت الهلال بين السحاب. ومثله الجار والمجرور، نحو: ﴿فَخَرَجَ مَا قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩].

ونحو: أبصرت البدر في السماء. وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماض.

وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوباً؛ لتمييز الحال. فيقال: جاء رجلٌ ويسعى. وإذا قيل: يسعى، لالتبس الحال بالصفة في مثله.

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾^(١)، ونحو: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾^(٢) ونحو: عهدتُك ما تَضْبُو وفيك شبيبةٌ فما لك بعد الشيب صَبًا مُتِيماً!

٣ - إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا بَيْتًا أَوْ هُمْ قَالُوا﴾^(٣)، وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) ^(٥).

الثاني - عُلِمَ مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية. ولا بد من اتفاقهما من (جهة) بها يتجاذبان، وأمر (جامع) به يتأخذان. وذلك الجامع إما عقلي^(٦)، أو وهمي^(٧)، أو خيالي^(٨).

(١) سورة يوسف، الآية ١٦ .

(٢) سورة المائدة الآية، ٨٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٤ .

(٤) لما كان قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسند إليه اسم إشارة، والمسند معروفاً بال، أكده بقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تأكيداً معنوياً . ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد، أكده بقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيداً لفظياً، حتى كأنه نفس الهداية .

(٥) سورة البقرة، الآية ٢ .

(٦) فالجامع العقلي: أمرٌ بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند أو المسند إليه، أو في قيد من قيودهما، نحو: زيد يصلي ويصوم ويصلي زيد وعمرو. وزيد الكاتب شاعر. وعمرو الكاتب منجم. وزيد كاتبٌ ماهر. وعمرو طبيبٌ ماهر. وكالتماثل والاشتراك فيهما، أو في قيد من قيودهما أيضاً بحيث يكون التماثل له نوعٌ اختصاص بهما، أو بالقيد، لا مطلق تماثل. فنحو: زيد شاعر وعمرو كاتب . لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة، لها نوعٌ اختصاص بهما- كصدقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك، وكالتضائف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر . كالأبوة والبُوة، والعلّة مع المعلول، والعلو والسفل، والأقل والأكثر، إلى غير ذلك .

(٧) الجامع الوهمي : أمرٌ بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة، فإن الوهم يُبرّزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوعٌ واحد، زائدٌ في أحدهما عارضٌ في الآخر، بخلاف العقل؛ فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد، هو اللون. وكالتضاد بالذات، وهو التقابل بين أمرين وجوديين، بينهما غاية الخلاف. يتعاقبان على محل واحد. وكالسود والبياض، أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض، لأنهما ليسا ضدّين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد، بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض، وكشبه التضاد كالسما والأرض؛ فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعاً وانخفاضاً، لكن لا يتعاقبان على محل واحد، كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض .

(٨) والجامع الخيالي: أمرٌ بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة، بأن يكون =

تصريح

عین أسباب الوصل والفصل في الأمثلة الآتية :

- قال الله تعالى : ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (٩٦) (١) .
- وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) (٢) .
- وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٢) (٣) .

- وقال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤) (٤) .

- وقال أبو العتاهية :

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرم المفضل

= بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام - كالقدوم، والمنشار، والبقاب - في خيال النجار. والقلم، والدواة، والقرطاس - في خيال الكاتب. والسيف، والرمح، والدرع - في خيال المحارب - وهلم جرا.

وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب، كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ (٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ (٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (١٠) [الغاشية : ١٧-٢٠] ، فالمناسبة بين الإبل والسماء، وبينها وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر . ولكنه أسلوب حكيم في غاية البلاغة، لأنه لما كان الخطاب مع العرب، وليس في تخيلاتهم إلا الإبل، لأنها رأس المنافع عندهم، والأرض لرعيها، والسماء لسقيها، وهي التي توصلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عندما تهاجمهم حادثة، أورد الكلام على طبق ما في تخيلاتهم.

(١) سورة المؤمنون، الآية ٩١ . -

(٢) سورة النور، الآية ٣٠ .

(٣) سورة الشورى، الآية ١٢ .

(٤) سورة التغابن، الآيات من ١ إلى ٤ .

ما اعتاضَ باذلٌ وجهه بسؤاله
- وقال :

مَنْ عَرَفَ النَّاسَ فِي تَصَرُّفِهِمْ
إِنْ أَنْتَ كَافَأْتَ مَنْ أَسَاءَ فَقَدْ
- قال أبو تمام :

أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
إِذَا الْكَرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا
- وقال المتنبي :

ذَلْ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشٍ
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
- وقال :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ
- وقال أيضاً :

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعاً
- وقال بشار :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ وَكَرَّةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي
- وقال أبو نواس :

عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِنَ النَّاسِ
- وقال المعري :

إِنَّ الشَّيْبَةَ نَارٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا
- وقال الطُّغْرَاي :

جَامِلٌ عَدُوٌّكَ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهُ
وَاحِدٌ حَسُودٌكَ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهُ

عِوَضاً وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسْؤَالِ

لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ صَاحِبِ زَلَالٍ
صِرْتَ إِلَى مِثْلِ سُوءِ مَا فَعَلَا

عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
مَنْ كَانَ يَأْلُفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ

رُبَّ عَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجِمَامُ
مَا لَجَزَحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

يَخْلُو مَنْ الِهِمُّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

بَخْسِنَاكَ حَقًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ

اعْجَبْ لشيءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ

إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ بِالْيَأْسِ

أَمراً فَبَادِزِ إِنَّ الدَّهْرَ مُطْفِئُهَا

بِالرَّفْقِ يُطْمَعُ فِي صَلاحِ الْفَاسِدِ

إِنْ نِمْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ عَنْكَ بَرَاقِدِ

أسئلة على الفصل والوصل يطلب أجوبتها

ما هو الوصل؟ ما هو الفصل؟ كم موضعاً للوصل؟ كم موضعاً للفصل؟
ما هو الجامع العقلي؟ ما هو الجامع الوهمي؟ ما هو الجامع الخيالي؟ متى
يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟ في كم موضع يجب فصل الجملة
الحالية؟

تطبيق عام على الفصل والوصل

- جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِيَ التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا
فُصِلَتِ الثَّانِيَةُ لَشَبِّهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَإِنَّهَا جَوَابُ سَوَالٍ.
- ﴿سَيِّحٌ لَّهُمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ﴾^(١).

فُصِلَتِ الثَّانِيَةُ لَشَبِّهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَإِنَّهَا جَوَابُ سَوَالٍ نَاشِئٍ مِمَّا قَبْلَهَا .
- ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢). عَطَفَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةَ عَلَى الْأُولَى
لِاتِّفَاقِهِمَا فِي الْإِنِّشَاءِ مَعَ الْمُنَاسَبَةِ التَّامَّةِ بَيْنَ الْمَفْرَدَاتِ. فَإِنَّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ فِيهِمَا
مُتَّحِدٌ وَالْمَسْنَدُ وَقِيدُهُمَا مُتَقَابِلَانِ.

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۖ﴾^(٣). عَطَفَ الْجُمْلَةُ
الثَّانِيَةَ عَلَى الْأُولَى لِاتِّفَاقِهِمَا خَبَرًا: لَفْظًا وَمَعْنَى، مَعَ الْمُنَاسَبَةِ التَّامَّةِ بَيْنَ
مَفْرَدَاتِهِمَا. فَإِنَّ الْمَسْنَدَيْنِ الْمُقَدَّرَيْنِ فِيهِمَا مُتَّحِدَانِ وَالْمَسْنَدَانِ إِلَيْهِمَا مُتَقَابِلَانِ.
وَقِيدُهُمَا الْأَوَّلُ مُتَّحِدٌ، وَالثَّانِي مُتَقَابِلٌ.

- «اشْكُرِ اللَّهَ عَلَى السَّرَاءِ يُنْجِيكَ مِنَ الضَّرَاءِ». لَمْ تُعْطَفِ الثَّانِيَةُ عَلَى
الْأُولَى لِكَمَالِ الْإِنْقِطَاعِ ؛ فَإِنَّ الْأُولَى إِنِّشَاءٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالثَّانِيَةُ عَكْسُهَا.

- «اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحُسُودِ لَا تَضْجِرْ مِنْ مَكَائِدِهِ». لَمْ تُعْطَفِ الثَّانِيَةُ عَلَى
الْأُولَى لِكَمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَإِنَّهَا مُؤَكَّدَةٌ لَهَا.

- «أَنْتَ حَمِيدُ الْخِصَالِ، تَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ وَتُغِيثُ الْمَلْهُوفَ». فُصِلَتِ

(١) سورة النور، الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٨٢ .

(٣) سورة الانفطار، الآيتان ١٣ و ١٤ .

الثانية عن الأولى لكمال الاتصال. فإنها بيان لها. ووصلت الثالثة للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

تمرين

بين سرّ الفصل والوصل فيما يلي:

- اخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطْبَا
- حُكْمُ الْمَنِيَةِ فِي الْبَرِيَةِ جَارِي
- لَا تَدْعُهُ إِنْ كُنْتَ تُنْصَفُ نَائِباً
- قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ
- قَالَتْ: بُلَيْتَ فَمَا نَرَاكَ كَعَهْدِنَا
- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ (٦) (٧).

- وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ
- لَا تَطْلُبَنَّ بَاكَةً لَكَ حَاجَةً
- يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً
- نَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ
- وَاجِرٍ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي
- مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ (٢)
- هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَائِمٌ لَا نَائِبٌ (٣)
- سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ (٤)
- لَيْتَ الْعَهْدَ تَجَدَّدَتْ بَعْدَ الْبَلَى (٥)
- كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ
- قَلَمُ الْبَلِيعِ بَغِيرَ حَظٍّ مِغْزَلٌ
- إِنَّ الْكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا (٨)
- لَكِنْ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَفِيفٌ (٩)

- (١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما لإنشاء، مع وجود المناسبة وعدم المانع.
- (٢) فصل الشطر الثاني عن الأول، لأنه تأكيد معنوي له، إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء. فأكد ذلك بالشطر الثاني. فبينهما كمال الاتصال.
- (٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبراً وإنشاء، والأول إنشاء. فبينهما كمال الانقطاع.
- (٤) فصل بين قال وقلت، لأن الثاني جواب سؤال، إذ جرت العادة أنه إذا قيل لرجل: كيف أنت؟ أن يجيب: أنا عليل. وكذا بين جملتي: سهر دائم، وحزن طويل. فكانه قيل: فما سبب علقتك؟ فأجاب: سهر دائم إلخ. ففي كل منهما شبه كمال الاتصال.
- (٥) بين الشطر الأول والثاني كمال الانقطاع، لأن أولهما خبر والثاني إنشاء.
- (٦) بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال، لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى.
- (٧) سورة النمل، الآية ٨٨.
- (٨) بين الشطر الأول والثاني كمال الاتصال؛ لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر من الأولى؛ كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال: إن الكريم إلخ.
- (٩) بين (نفسى له) و(نفسى الفداء) كمال الاتصال، لأن الثانية تأكيد لفظي للأولى.

- ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (١) (٢) .
- ﴿يَذَّبُرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ﴾ (٣) (٤) .
- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ﴾ (٥) (٦) .
- ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ (٧) (٨) .
- يَهْوَى الشَّاءَ مُبَرَّزٌ وَمَقْصُرٌ حُبُّ الشَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ (٩)
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) (١١) .
- ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ (١٢) (١٣) .

- (١) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ تأكيد معنوي لقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشراً، وما هذا بآدمي، أن يكون الغرض أنه ملك، فيُكنى به عن ذلك .
- (٢) سورة يوسف، الآية ٣١ .
- (٣) بين ﴿يَذَّبُرُ﴾ و﴿يَفْصِلُ﴾ كمال الاتصال، لأن الثانية بدل بعض من كل .
- (٤) سورة الرعد، الآية ٢ .
- (٥) بين قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ كمال الاتصال؛ لأن الثانية تأكيد معنوي؛ لأن تقرير كونه وحياً نفياً لأن يكونَ عن هوى .
- (٦) سورة النجم، الآيات من ٣ إلى ٥ .
- (٧) بين ﴿فَقَالُوا﴾ و﴿قَالَ﴾ شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال لهم حينئذ؟ أجيب بأنه قال: سلام . وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب .
- (٨) سورة الذاريات، الآية ٢٥ .
- (٩) فصل بين الشطر الثاني والأول، لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ الشطر الثاني مؤكّد للأول .
- (١٠) فصل جملة ﴿يُخَذِّعُونَ﴾ عما قبلهما، لأن بينهما كمال الاتصال، لأن هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: «آمنا» دون أن يكونوا مؤمنين . فهي إذا تأكيد معنوي للأولى .
- (١١) سورة البقرة، الآيتان ٨ و ٩ .
- (١٢) فصلت جملتنا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ و﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ عما قبلهما لأنهما كالتوكيد له، إذ المقصود من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما نُلي عليه من الآيات . فهما من كمال الاتصال .
- (١٣) سورة لقمان، الآية ٧ .

- أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ؟ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ^(١)
- فَأَبَوْا بِالرَّمَاكِ مُكَّراتٍ وَأُبْنَا بِالسَّيْفِ قَدْ انْحَنِينَا^(٢)
- فَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ جِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قَدْ يَوْجَدُ الْحَلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ^(٣)
- يَقُولُونَ: إِنِّي أَحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظِيرِي^(٤)
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٦)(٥)

- فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةً وَيَا نَفْسُ جِدِّي، إِنْ دَهْرُكَ هَازِلٌ^(٧)
- ﴿يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٨) (٩).
- ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(١٠) (١١).
- ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾^(١٢) (١٣).
- ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١٤) (١٥).

- (١) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فبينهما كمال الانقطاع .
- (٢) بين جملي «أبوا» و«أبنا» توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية في وجود المناسبة .
- (٣) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال، إذ الثاني جواب سؤال مقدر .
- (٤) هذا البيت من حيث عدم عطف «أعوذ» على ما قبله، على حد قوله: تظن سلمى إلخ
- (٥) لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد، لأنها مبنية لحال الكفار، وما قبلها مبنية لحال المؤمنين . وإن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته، بل ذكر استتباعاً لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل .

- (٦) سورة البقرة، الآية ٦ .
- (٧) لم يعطف قوله «إن الحياة» على ما قبله لأنه جواب سؤال مقدر . كأنه قيل: لماذا تطلب زيارة الموت؟ فأجاب: إن الحياة ذميمة .
- (٨) لم يعطف قوله: «يذبحون» على «يسومون» لكونه بيان له .
- (٩) سورة البقرة، الآية ٤٩ .
- (١٠) فجملة تحسبها جامدة بدل اشتغال .
- (١١) سورة النمل، الآية ٨٨ .
- (١٢) فجملة يفصل الآيات بدل بعض .
- (١٣) سورة الرعد، الآية ٢ .
- (١٤) فجملة «يلق أثاماً» بدل كل . وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة .
- (١٥) سورة الفرقان، الآيتان ٦٨ و٦٩ .

الباب التاسع

في الإيجاز، والإطناب، والمساواة

كُلُّ ما يجول في الصدرِ من المعاني، ويخطرُ ببالك معنى منها لا يعدو التعبير^(١) عنه طريقاً من طرق ثلاث:

أولاً - إذا جاء التعبير على قدرِ المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «المساواة». وهي الأصل الذي يكون أكثرُ الكلام على صورته، والدُّستور الذي يُقاس عليه.

ثانياً - إذا زادَ التعبيرُ على قدرِ المعنى لفائدةٍ فذاك هو «الإطناب». فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل.

ثالثاً - إذا نقص التعبيرُ على قدرِ المعنى الكثير، فذلك هو «الإيجاز»^(٢).

فكلُّ ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث.

فتارةٌ يُوجِزُ، وتارةٌ يُسهِّبُ، وتارةٌ يأتي بالعبارة «بينَ بينَ». ولا يُعَدُّ الكلامُ في صورةٍ من هذه الصورِ بليغاً إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حالِ المخاطب، ويدعو إليه مواطنُ الخطاب.

فإذا كان المقامُ للإطناب مثلاً، وعدلت عنه إلى الإيجاز أو المساواة لم يكنْ كلامك بليغاً. وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

(١) أي : إذا أردت أن تتحدث إلى الناس في معنى من المعاني، فأنت تعبر عنه تعبيراً صحيحاً مقبولاً في إحدى صور ثلاث، وهي المساواة، والإيجاز، والإطناب .

(٢) قال الإمام علي: «ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة». وقالت بنتُ الحطيئة لأبيها: «ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها بالأذان أولج، وبالأفواه أعلق» وقيل لشاعر: لِمَ لا تُطِيلُ شِعْرَكَ؟ فقال: «حسبك من القلادة ما أحاط بالعُنُق» .

المبحث الأول

في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظٍ أقل^(١) منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها. وكقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣)، وكقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات». فإذا لم تَفِ العبارة بالغرض سُمي إخلالاً وحذفاً رديئاً، كقول الشَّكْرِيِّ: والعيشُ خيرٌ في ظِلِّ لِي النَّوْكِ مِمَّنْ عاشَ كَدًا مراده أن العيش الناعم الرُّغد في حال الحمق والجهل خير من العيش الشاق في حال العقل. لكن كلامه لا يُعدُّ صحيحاً مقبولاً.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجازٍ قِصَرٍ^(٤)، وإيجازٍ حذف.

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادةً مع وفائه بالمراد. فإن لم يَفِ كان الإيجاز إخلالاً وحذفاً رديئاً فلا يعدُّ الكلام صحيحاً ومقبولاً، كقول عروة بن الورد:

عجبْتُ لهم إذ يَقتُلون نفوسَهُمْ ومقتلُهُم عند الوغى كان أغدراً

يريد: إذ يقتلون نفوسهم في السلم، لكن صوغ كلامه لا يدلُّ عليه. ومثل قول بعضهم نثراً: «فإن المعروف إذا رجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ». ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول: إذا قل وزجا. ولا يعدُّ مثل هذا الكلام صحيحاً ومقبولاً.

واعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يَزْتَفُوا إلى درجة البلغاء، ولم يَنْحَطُوا إلى درجة البسطاء. فالمساواة: هي الدستور الذي يقاس عليه كل من الإيجاز والإطناب.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٤) وإيجاز القصر: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ ولا يُقدَّر فيه محذوف. ويسمى (إيجاز البلاغة). لأن الأقدار تتفاوت فيه. وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تُسامى، والغاية التي لا تُدرك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل؛ إذ في العفو الصَّفْح عَمَّنْ أساء، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام. ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم. وقوله عز اسمه: ﴿وَالْقُلُوبُ أَلْفَى بِجَنِّهِ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر، وصنوف المرافق =

فإيجازُ القصر (ويسمى إيجازُ البلاغة) يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١). فإنَّ معناه كثير، ولفظه يسير؛ إذ المراد أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قُتِلَ قُتِلَ امتنع عن القتل. وفي ذلك حياته وحياته غيره، لأنَّ القتل أنفى للقتل.^(٢) وبذلك تطولُ الأعمار، وتكثرُ الذرِّيَّة. ويُقبلُ كلُّ واحد على ما يعودُ عليه بالنفع، ويتمُّ النظام، ويكثرُ العمران. فالقصاص: هو سببُ ابتعادِ الناس عن القتل، فهو الحافظُ للحياة.

وهذا القسم مَطْمَحُ نظرِ البلغاء، وبه تتفاوتُ أقدارُهم، حتى إنَّ بعضهم سُئِلَ عن البلاغة فقال: هي إيجازُ القِصْرِ. وقال أكثرُهم بنُّ صيفي خطيبُ العرب: «البلاغةُ الإيجازُ».

وإيجازُ الحذف: يكون بحذف شيءٍ من العبارة لا يُخلُّ بالفهم عند

= التي لا يبلغها العدُّ، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلَقُ وَالْآمُرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المعدة بيتُ الداء، والجفنة رأسُ الدواء، وعودوا كلَّ جسم ما اعتاد» فقد تضمَّن ذلك من المعاني الطبية شيئاً كثيراً. وقول الإمام علي كرم الله وجهه: «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ»، وقول بعض الأعراب: «اللهم هب لي حقك، وأرض عني خَلْقَكَ». فسمعه الإمام علي كرم الله وجهه فقال: «هذا هو البلاغة». ومنه قول السموءل:

وإن هو لم يحِمْلْ على النفسِ ضَمِيمَهَا فليسَ إلى حُسْنِ الشَّئِءِ سَبِيلُ
فقد اشتمل على حميد الصفات من سَمَاحَةٍ وشجاعةٍ وتواضعٍ وحلمٍ وصبرٍ واحتمالٍ مكارهٍ في سبيل طلب الحمد، إذ كلُّ هذه مما تضيِّمُ النفسَ لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء. والسبب فيما له من الحُسْنِ والروعة دلالةٌ قليلةٌ الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة.

ولذا قال محمد الأمين: «عليكم بالإيجاز، فإن له إفهاماً، وللإطالة استبهاماً». وقال آخر:

«القليلُ الكافي خيرٌ من كثير غير شاف».

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٢) لقد أثيرَ عن العرب قولهم: «القتلُ أنفى للقتل» وأين هذا المثلُّ من بلاغة هذه الآية الشريفة التي بلغت حدَّ الإعجاز، وتمتازُ بوجوهٍ، منها أنها كلمتان، وما نُقِلَ عنهما أربع. ومنها أنه لا تكرارَ فيها، وفيما قالوه تكرار. ومنها أنه ليسَ كلُّ قتلٍ يكون نافياً للقتل. وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص. ومنها حسنُ التاليفِ وشدةُ التلاؤمِ المدركان بالحسن في الآية الكريمة التي أعجزتهم أن يأتوا بمثلها، لا فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيدُ عن متعارف الأوساط.

وُجود ما يدلُّ على المحذوف، من قرينة لفظية، أو معنوية. وذلك المحذوف، إما أن يكون:

- ١ - حرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بِغَيًّا﴾^(١)، أصله: ولم أكن.^(٢)
- ٢ - أو اسماً مضافاً، نحو: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٣). أي: في سبيل الله.
- ٣ - أو اسماً مضافاً إليه، نحو: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(٤). أي: بعشر ليال.
- ٤ - أو اسماً موصوفاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(٥). أي: عملاً صالحاً.
- ٥ - أو اسماً صفة، نحو: ﴿فَزَادَنَّهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ﴾^(٦). أي: مضافاً إلى رجسهم.
- ٦ - أو شرطاً، نحو: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٧). أي: فإن تتبعوني.
- ٧ - أو جواب شرط، نحو: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ وَفَّقْنَاهُ عَلَى النَّارِ﴾^(٨). أي: لرأيت أمراً فظيماً.
- ٨ - أو مسنداً، نحو: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٩). أي: خلقهن الله.

(١) سورة مريم، الآية ٢٠ .

(٢) وكحذف «لا» في قول عاصم المنقري:

رأيت الخمر جامدة وفيها
فلا والله أشربها حياتي
يريد: لا أشربها .

ويقع إيجاز الحذف كثيراً في أساليب البلغاء بشرط أن يوجد ما يدلُّ على المحذوف، وإلا كان الحذف رديئاً، والكلام غير مقبول .

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٤٢ .

(٥) سورة الفرقان، الآية ٧١ .

(٦) سورة التوبة، الآية ١٢٥ .

(٧) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٨) سورة الأنعام، الآية ٢٧ .

(٩) سورة لقمان، الآية ٢٥ .

٩ - أو مسنداً إليه، كما في قول حاتم:

أماوي ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أي: إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠ - أو متعلقاً، نحو: ﴿لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(١). أي: عما يفعلون.

١١ - أو جملة، نحو: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾^(٢). أي: فاختلفوا، فبعث... .

١٢ - أو جملاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلُونَا﴾^(٣) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾^(٤). أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا. فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف.

واعلم أن دواعي الإيجاز كثيرة، منها الاختصار، وتهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير، إلخ.

ويُستحسن الإيجاز في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد، والتوبيخ، ورسائل طلب الخراج، وجباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة، والأوامر والنواهي الملكية، والشكر على النعم.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣ .

(٣) سورة يوسف، الآيتان ٤٥ و٤٦ .

(٤) فأرسلون: حكاية عن أحد الفتيين الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليتعبره ما رآه . واعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف وهو: إما العقل وحده، نحو: ﴿وَجَاءَ رُؤُوسُ﴾ [الفجر: ٢٢]، وإما العقل مع غيره، نحو: ﴿حَرَمْتَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ﴾ [المائدة: ٣]، أي تناولها . وإما العادة، نحو: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، أي في مُراودته . وإما الشروع فيه، نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم» أولف مثلاً . وإما مقارنة الكلام للفعل، كما تقول لمن تزوج: «بالزَّفاء والبنين» أي أغرست متلبساً بالآلفة والبنين . (تنبيه) حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل، إذ هو الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة . واعلم أن كلاً من الحشو والتطويل يُخلُ ببلاغة الكلام، بل لا يعدُّ الكلام معهما إلا ساقطاً عن مراتب البلاغة كلها .

ومرجعك في إدراك أسرار البلاغة إلى الذوق الأدبي، والإحساس الروحي .

المبحث الثاني

في الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف أوساط البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده، نحو: ﴿رَبِّ إِيَّاهِنَّ الْعِظَمُ مِثِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(١) أي كبرت.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يُسمى «تطويلاً» إن كانت الزيادة في الكلام غير مُتعيّنة، ويُسمى «حشواً» إن كانت الزيادة في الكلام مُتعيّنة لا يفسدُ بها المعنى .

فالتطويل كقول عدّي العبادي في جذيمة الأبرش:

وقدّدت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً وميناً^(٢)

فالمين والكذب بمعنى واحد. ولم يتعيّن الزائد منهما، لأنّ العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقياً ولا معية، فلا يتغيّر المعنى بإسقاط أيّهما شئت. والحشو كقول زهير بن أبي سلمى:

وأعلمُ علمَ اليوم والأمس قبله ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عمي^(٣)

(١) سورة مريم، الآية ٤ .

(٢) وقّدت: أي قطعت. والضمير فيه يعودُ على الزباء. وهي امرأة ورّثت الملك عن أبيها. والأديم: الجلد. وراهشيه: أي، إلى أن وصل القطع للراهشين، وهما عرقان في باطن الذراع يتدفّق الدمُ منهما عند القطع. والضمير في «ألفى» يعودُ على المقطوع راهشاه، وهو جذيمة الأبرش. والمرادُ الإخبارُ بأنّ جذيمةً غدرت به الزباء، وقطعت راهشيه، وسأل منه الدمُ حتى مات. وأنه وجد ما وعدته من تزوّجٍ بها كذباً وميناً، وهما بمعنى واحد . وإحدى الكلمتين زائدة فلا يتغيّر المعنى بإسقاط أيّهما شئت، وكقول الشاعر:

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعدُ فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعيّن أحدهما للزيادة .

(٣) الشاهد في قوله: «قبله»، لأنه معلومٌ من قوله: «أمس»، وكقول الآخر:

ذكرتُ أخي فعادَ نسي صداعُ الرأسِ والوصَبُ فإنّ الصّداعَ لا يكونُ إلا في الرأسِ، فذكرُ الرأسِ لا فائدة فيه .

وكل من الحشو والتطويل مَعْنَبٌ في البيان، وكلاهما بمعزلٍ عن مراتب البلاغة. واعلم أن دواعي الإطناب كثيرة، منها تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام، وإثارة الحمية، وغير ذلك. وأنواع الإطناب كثيرة^(١):

١ - منها ذكرُ الخاص بعد العام، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٢)، وفائدته التنبيه على مزية فضل في الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته، جزء آخر مغاير لما قبله. ولهذا خص الصلاة الوسطى (وهي العصر) بالذكر لزيادة فضلها.

٢ - ومنها ذكرُ العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣). وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانية في عنوان عام بعد ذكره أولاً في عنوان خاص.

٣ - ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين؛ مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك ثبلاً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ حَزَقٍ تُحْيِيكُم مِّنْ عَذَابِ ٱلْإِيمِ ۖ تُوْثِقُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾^(٤). وكقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾^(٥).

فقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ تفسيرٌ وتوضيحٌ لذلك «الأمر» المبهم. وفائدته توجيهُ الذهن إلى معرفته، وتفخيمُ شأن المبين، وتمكيته في النفس، فأبهَم في كلمة «الأمر»، ثم وضح بعد ذلك تهويلاً لأمر العذاب.

(١) ومنها الحروف الزائدة، وتكثيرُ الجمل نحو: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِن ٱللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

(٤) سورة نوح، الآية ٢٨.

(٥) سورة الصف، الآيتان ١٠ و ١١.

(٦) سورة الحجر، الآية ٦٦.

- ٤ - ومنها التوشيع: وهو أن يُؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسرٍ بمفردين ليُرى المعنى في صورتين، تخرجُ فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو: العلمُ علّمان: علم الأبدان، وعلم الأديان.
- ٥ - ومنها التكرير: وهو ذكرُ الشيء مرتين أو أكثر، لأغراض:

الأول - التأكيد وتقرير المعنى في النفس، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ (١). وكقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعَقْرِ يُسْرًا﴾ (٥) إِنَّ مَعَ الْعَقْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ (٣).

الثاني - طول الفصل، لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة. كقوله تعالى: ﴿يَنَابِتَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤). فكرر ﴿رَأَيْتُ﴾ لطول الفصل. ومن هذا قول الشاعر:

وإنّ امرأً دامت مواعيقُ عهدهِ على مثلِ هذا إنّهُ لَكريمُ (٥)

الثالث - قصدُ الاستيعاب، نحو: قرأتُ الكتابَ باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

الرابع - زيادةُ الترغيب في العفو، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ إِحْسَانًا لِّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) (٦).

الخامس - الترغيبُ في قبول النصيح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨) يَتَّقُوا إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْنٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ (٧).

(١) أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر . فقد أخذ الإنذار بتكريره ليكون أبلغ تأثيراً وأشدّ تخويفاً .

(٢) سورة التكاثر، الآيتان ٣ و ٤ .

(٣) سورة الشرح، الآيتان ٥ و ٦ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٤ .

(٥) الشاهد في تكرير (إن) التي في أول البيت، وتكريرها في آخره . وفي الآية الكريمة كرر ﴿رَأَيْتُ﴾ لطول الفصل .

(٦) سورة التغابن، الآية ١٤ .

(٧) سورة غافر، الآيتان ٣٨ و ٣٩ .

ففي تكرير «يا قوم» تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

السادس - التنويه بشأن المخاطب، نحو: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ».

السابع - التردد: وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولاً، نحو: «الْمَخِيَّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ».

الثامن - التلذذ بذكره، نحو: قول مروان بن أبي حفصة: سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبْدًا نَجْدٌ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ
التاسع - الإرشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ (٣٤) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٥) (١).

٦ - ومنها الاعتراض لغرض يقصده المتكلم، وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة مُعْتَرِضَةٌ، أو أكثر، لا محل لها من الإعراب (٢). وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ، غير دفع الإبهام:
أ - كالدعاء، نحو: إني - حفظك الله - مريض.

وكقول عوف بن مُحَلَّم الشيباني:
إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ (٣)
ب - والتنبية على فضيلة العلم، كقول الآخر:

(١) سورة القيامة، الآيتان ٣٤ و ٣٥ .

(٢) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئي جملة ولا بين كلامين، بل جَوَزَ وقوعه آخر الكلام مطلقاً سواءً وليه ارتباط بما قبله أو لا، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فجملة ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الإنشاء على الخبر .

(٣) بلغتها: بفتح التاء أي بلغتك الله إياها . وترجمان: كزعران، ويجوز ضم التاء مع الجيم . واعلم أن الدعاء من الشاعر موجّه إلى المخاطب بطول عمره، وأن يعيش مثله ثمانين سنة . واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْزِعِ السُّجُودِ﴾ (٧٥) وَإِنَّكُمْ لَفُتَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّكُمْ لَفُتَمُونَ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكُونٍ (٧٨) [الواقعة: ٧٥-٧٨] .

واعلم فعلُ المرءِ ينفعُه أنْ سوفَ يأتي كلُّ ما قُدِرا
ج - التنزيه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١).

د - وزيادة التأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٢).
ه - والاستعطاف، كقول الشاعر:

وخفوقِ قلبٍ لو رأيتَ لهيبَه يا جَتِّي لرأيتَ فيه جهنما
و - والتهويل، نحو: ﴿وَإِنَّهُمْ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٣).

٧ - ومنها الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، كالمبالغة في قول الخنساء:

وإنْ صخرأ لتأتُم الهداءُ به كأنه عَلمٌ في رأسه نارُ
فقولها: «كأنه علم» وافٍ بالمقصود، لكنها أعقبتَه بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

٨ - ومنها التذييل، وهو تعقيبُ جملةٍ بجملةٍ بأخرى مستقلة، تشتملُ على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها،^(٥) نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٦). ونحو: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾^(٧).

والتذييلُ قسمان: قسمٌ يستقلُ بمعناه، لجريانه مَجْرَى المثل. وقسمٌ لا يستقلُ بمعناه، لعدم جَرَيانه مَجْرَى المثل.

(١) سورة النحل، الآية ٥٧ .

(٢) سورة لقمان، الآية ١٤ .

(٣) سورة الواقعة، الآية ٧٦ .

(٤) سورة النور، الآية ٣٨ .

(٥) التأكيد ضربان: تأكيدُ المنطوق كما في هذه الآية . وتأكيدُ المفهوم كقوله:

ولستُ بمسبِقٍ أخاً لا تلتئهُ على شعبي أي الرجال المهذب؟

فقد دلَّ بمفهومه على نفي الكمال من الرجال، فأكدَه بقوله: (أي الرجال المهذب) .

(٦) سورة الإسراء، الآية ٨١ .

(٧) سورة سبأ، الآية ١٧ .

فالأول: الجاري مجرى الأمثال، لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله، كقول طرفة:

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً
كُلُّهُمْ أَرْوُغٌ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

والثاني: غير الجاري مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد، كقول النابغة:

لَمْ يُبَيِّنْ جَوْدُكَ لِي شَيْئاً لِي أَوْمُلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ
فَالشُّطْرُ الثَّانِي مُؤَكَّدٌ لِلأَوَّلِ، وليس مستقلاً عنه، فلم يجز مجرى المثل.

٩ - ومنها الاحتراس، ويقال له: التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم.

فالاحتراس يوجد حيثما يأتي المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك، ويأتي بما يخلصه، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام، كقول طرفة بن العبد:

فَنَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(١)
فقوله: غير مفسدها، للاحتراس.

أو وقع الاحتراس في آخره، نحو: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٢). أي مع حب الطعام، واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم. فلفظ ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ فضلة للاحتراس ولزيادة التحين في المعنى.

وكقول أعرابية لرجل: «أَذَلَّ اللَّهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلَّا نَفْسَكَ».

١٠ - ومنها التميم، وهو زيادة فضلة، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار ومجرور، توجد في المعنى حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً، كقول ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَاعٍ وَأَرْجُلُ

(١) لما كان المطر ممّا يسبّب الخراب دفع هذا الوهم بقوله: «غير مفسدها».

(٢) سورة الإنسان، الآية ٨.

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مبتدلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة. وتوهم أنها بليدة تستحق الضرب.

ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح، والثناء، والذم، والهجاء، والوعظ، والإرشاد، والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة، ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكتب الولاة إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول في الشيء المستبعد: رأيته بعيني، وسمعته بأذني، وذقته بفمي، تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره. وكقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(١) والسقف لا يخرط طبعاً إلا من فوق. ولكنه دلّ بقوله ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ على الإحاطة والشمول.

واعلم أن الإطناب عند بعضهم أرجح من الإيجاز، وحجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع. والإشباع لا يقع إلا بالإقناع. وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني. ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة، إلا بالاستقصاء والإطناب.

والمختار أن الحاجة إلى كل من الإطناب والإيجاز ماسة، وكل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر فيه. وللذوق السليم القول الفصل في موطن كل منهما.

المبحث الثالث

في المساواة

المساواة : هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له،^(٢) بأن تكون

(١) سورة النحل، الآية ٢٦ .

(٢) المساواة: هي ما ساوى لفظه معناه، بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر . وهي نوعان: الأول - مساواة مع الاختصار، وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف، الكثيرة المعاني كقوله تعالى: ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَى﴾ [فاطر: ٤٣] . والثاني - مساواة بدون اختصار، ويسمى «متعارف الأوساط» . وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ﴾ [الرحمن: ٧٢] . والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة، غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.

الألفاظ على قَدَرِ المعاني، لا يزيد بعضها على بعض. ولسنا بحاجة إلى الكلام عن المساواة؛ فإنها هي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يعتمد عليه.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١).

وكقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٣).

وكقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى».

فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه. وكقول طرفة بن العبد:

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ
هذه أمثلة للمساواة، لا يستغني الكلام فيها عن لفظ منه ولو حذف شيء منه لأخل بمعناه.

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة

تطلب أجوبتها

ما هي المساواة؟ ما هو الإيجاز؟ ما هو الإطناب؟ كم قسماً للإيجاز؟ ما هو إيجاز القصير؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسماً للإطناب؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟ ما هو التكرار؟ ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التكميل؟ ما هو التميم؟ ما هو الاحتراس؟

= والمساواة فن من القول عزيز المنال، تشرئب إليه أعناق البلغاء، لكن لا يرتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى، وجلال المقصد. والمساواة يعتبرها بعضهم وسطاً بين الإيجاز والإطناب، وبعضهم يدمجها، ولا يعدّها قسماً ثالثاً للإيجاز والإطناب.

(١) سورة البقرة، الآية ١١٠.

(٢) سورة الطور، الآية ٢١.

(٣) سورة الروم، الآية ٤٤.

ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسماً للتذليل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

- درستُ الصرف - فيه مساواة، لأن اللفظ على قدر المعنى.
- ﴿وَيُطْعَمُونَ اَلطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١) فيه إطناب بالتميم فإن ﴿عَلَىٰ حَيْثُ﴾ فضلة لزيادة التحسين في المعنى.
- ﴿وَلَا يَحِيقُ اَلْمَكْرُ اَلْسَيُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٢) فيه مساواة.
- «المرء بأدبه» فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة.
- ﴿تَاللَّهِ تَفَتَوْا تَذَكَّرُ يُوْسَفُ﴾^(٣) فيه إيجاز حذف وهو «لا».
- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن اَضْرِبْ بِعَصَاكَ اَلْبَحْرَ فَأَنفَلَقَ﴾^(٤) فيه إيجاز حذف جملة، أي: فضرِب فانفلق.
- ألا كل شيء ما خلا الله باطل، فيه إطناب بالاحتباس.
- إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربته؟ فيه الإطناب بالتذليل. والجملة الثانية جارية مجرى المثل.
- «جوزي المذنب بذنبه وهل يجازى إلا المذنب»، فيه إطناب بالتذليل، وليس جارية مجرى المثل.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾^(٥) فيه إطناب بالاحتباس.
- «البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة»، فيه إطناب بالترديد.

(١) سورة الإنسان، الآية ٨ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٤٣ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٨٥ .

(٤) سورة الشعراء، الآية ٦٣ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٩٤ .

- ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مِمَّا آَتَقَنِ﴾^(١) فيه إيجاز حذف مضاف، أي: ذا البر.
- واهتمَّ للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع فيه إطناب بالإيغال؛ فإن (أشنع) مزيدة للترتيب في الاهتمام.
- ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآَخَرَ سَيِّئًا﴾^(٢) فيه إيجاز حذف، أي: خلطوا عملاً صالحاً بسيئاً وعملاً سيئاً بصالح.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَلَ﴾^(٣) فيه إيجازٌ بحذف الياء، وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سارٍ، وإنما يسري من فيه. نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جرياً على عادة العرب في مثل ذلك.
- ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبَيِّلَ الْبَاطِلَ﴾^(٤) وفيه إيجازٌ بحذف جملة، أي فعل ذلك.

تصريح

- بين الإيجاز، والمساواة، والإطناب، وأقسام كل منهما فيما يأتي:
- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُلُوكِ الَّتِي بِحَجَرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥) ^(٦).
- وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٧) ^(٨).

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٩ .

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الفجر، الآية ٤ .

(٤) سورة الأنفال، الآية ٨ .

(٥) في هذه الآية الإطنابُ بتكثير الجمل . وهذا خلافُ الأنواع السابقة، وذلك لأنه لما كان الخطابُ مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرحَ بخلق أمهاتِ الممكناتِ الظاهرة، ليكون دليلاً على القدرة الباهرة . وذلك بدل أن يقال: إن في وقوع كل ممكنٍ تساوى طرفاه لآيات للعقلاء .

(٦) سورة البقرة، الآية ١٦٤ .

(٧) فيه إيجازُ القصر لأنه قد جمعَ مكارمَ الأخلاق .

(٨) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

- وقال تعالى: ﴿يَأْخُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١) ^(٢).
- أنا ابنُ جَلالٍ^(٣) وطلاغُ الشنايا متى أضعِ العِمامةَ تُعرفوني
- ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾^(٤) ^(٥)، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٦) ^(٧).
- فقلت: يمينُ الله أبرحُ^(٨) قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسي لديك وأوصالي
- شيخُ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دمَ الحُجاجِ في الحرم^(٩)
- وقال تعالى: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١٠) ^(١١).
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(١٢) ^(١٣) ﴿١٩﴾.
- وقال الشاعر:
- لله لذة عيشٍ بالحبيب مضت ولم تدُم لي وغيرُ الله لم يدُم^(١٤)
- وقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَصْفَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾^(١٥) ^(١٦).

- (١) أي سفينة سالمة .
- (٢) سورة الكهف، الآية ٧٩ .
- (٣) أي أنا ابنُ رجل جَلالٍ المشكلات .
- (٤) الشرط محذوف أي: إن أرادوا ولياً فالله هو الولي .
- (٥) سورة الشورى، الآية ٩ .
- (٦) أي فاقْتَدِ واصْبِرْ .
- (٧) سورة آل عمران، الآية ١٨٤ .
- (٨) أي لا أبرح .
- (٩) في الحرم، إيغالٌ للزيادة في المبالغة .
- (١٠) فيه التذليل .
- (١١) سورة الرعد، الآية ٢٨ .
- (١٢) احتسَسَ بقوله: (وهو مؤمن) عن توهم الإطلاق .
- (١٣) سورة الإسراء، الآية ١٩ .
- (١٤) فيه تذييلٌ جارٍ مجرى الأمثال .
- (١٥) في قوله: «من غير سوء» احتراستٌ عن توهم بياضِ البرص ونحوه .
- (١٦) سورة النمل، الآية ١٢ .

- وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١).
- وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِدُ بَمَوْقِعِ النَّجُورِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾^(٢) ^(٣).

- | | |
|------------------------------------|--|
| - حليمٌ إذا ما الحلمُ زَيْنٌ لأهله | - مع الحلم في عَيْنِ العدوِّ مهيبٌ ^(٤) |
| - أتى الزمانُ بنوه في شبيبته | - فسرَّهم وأتيناها على هَرَمٍ ^(٥) |
| - وألفيته بحرًا كثيرًا فضولُهُ | - جواداً متى يُذَكِّرُ له الخير يَزِدُّ ^(٦) |
| - فإن كنت لا تستطيع دفعَ منيَّتي | - فذرنِي أبادِرها بما مَلَكَتْ يدي |
| - ما أحسنَ الأيامَ إلا أنها | - يا صاحِبِي إذا مضتْ لم تَرْجِعْ |
| - ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمُهُ | - على شَعَثِ أيِّ الرجالِ المهذَّبِ؟ |
| - تأملْ من خلالِ السَّجْفِ وانظُرْ | - بعينِكَ ما شربتُ وَمَنْ سَقاني؟ |
| - تجذُّ شمسَ الضحى تدنو بشمسٍ | - إليَّ مِنَ الرَّحِيقِ الخُسرواني |

* * *

(١) سورة الحشر، الآية ٩ .

(٢) فيه الاعتراضُ بقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ .

(٣) سورة الواقعة، الآيتان ٧٥ و ٧٦ .

(٤) في البيت احتراشٌ (بلفظ مهيب) .

(٥) في البيت إيجازٌ، أي: وأتيناها على هرم (فساءنا) .

(٦) في البيت إطنابٌ، فإن قوله: متى يذكر له الخير يزدد، تكميل .

خاتمة

علمت أنّ البلاغة متوقّفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ورأيت فيما تقدم من الأحكام، أنّ مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر. وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يُعَدَّلُ عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم.

وقد تقدّم كثيرٌ من ذلك العدول «المسمى بإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر» في الأبواب السابقة. وبقي من هذا القبيل أنواعٌ أخرى كثيرة: الأول - الالتفات: وهو الانتقال من كلٍّ من التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفشياً في الحديث، وتلويحاً للخطاب، حتى لا يملّ السامعُ من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملأً له على زيادة الإصغاء؛ فإنّ لكلّ جديد لذةً ولبعض مواقعه لطائفٌ، ملاكٌ إدراكها الذوقُ السليم.

واعلم أنّ صورَ العدول إلى الالتفات ستة:

١ - عدولٌ من التكلم إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١)، والقياس «وإليه أرجع».

٢ - عدولٌ من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

٣ - عدولٌ من الخطاب إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٣).

٤ - عدولٌ من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمَكَادَ﴾^(٤).

(١) سورة يس، الآية ٢٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٣) سورة هود، الآية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٩.

٥ - عدول من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا
بَيِّنَاتٍ يَدُّ رَحْمَتُهُ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) (١). والقياس «وأنزل».

٦ - عدول من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (٢) (٢).

الثاني - تجاهل العارف، وهو سؤق المعلوم مساق المجهول، بأن يجعل
العارف بالشيء نفسه جاهلاً به. وذلك لأغراض:

١ - كالتعجب، نحو: قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣) (٣).

٢ - والمبالغة في المدح، نحو: وجهك بدر أم شمس؟

٣ - والمبالغة في الذم، كقول الشاعر:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

٤ - والتوبيخ وشدة الجزع، كقول الشاعر:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً؟ كأنك لم تجزع على ابن طريف؟ (٤)

٥ - وشدة الوله، كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا: ليلاي منكن أم ليلي من البشر؟

٦ - والفخر، كقوله:

أيما تُعرف المواقف منه وثبات على العدا وثباتا؟

الثالث - القلب (٥)، وهو جعل كل من الجزئين في الكلام مكان صاحبه
لغرض المبالغة، نحو قول رؤبة بن العجاج:

(١) سورة الفرقان، الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٣ .

(٣) سورة الطور، الآية ١٥ .

(٤) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر .

(٥) ويُستدل عليه بالتأمل في المعنى . فنحو: عرضت الناقة على الحوض، وأدخلت الخاتم
في إصبعي . أصله: «عرضت الحوض على الناقة» لأن العرض يكون على ما له إدراك .
وأصله: أدخلت إصبعي في الخاتم، لأن الظرف هو الخاتم . والنكتة أن الظاهر الإتيان
بالمعروض إلى المعروض عليه، وتحريك المظروف نحو الظرف .
ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار . وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً
لطيفاً .

وَمَهُمْ مُتَبَرِّرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ^(١)
أي: كأن لون سماءه لغبرتها لون أرضه، مبالغة في وصف لون السماء بالغبرة، حتى صار بحيث يُشَبَّه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم في إصبعي. والقياس: «أدخلت إصبعي في الخاتم». وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع - التعبير عن المضارع بلفظ الماضي، وعكسه. فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي:

- أ - التنبيه على تحقق وقوعه، نحو: ﴿أَفَتَأْتِرُ اللَّهَ﴾^(٢). أي يأتي.
 - ب - أو قرب الوقوع، نحو: قد قامت الصلاة. أي قرب القيام لها.
 - ج - والتفاؤل نحو: إن شفاك الله تذهب معي.
 - د - والتعريض، نحو قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ﴾^(٣). فيه تعريض للمشركين بأنه قد حبطت أعمالهم.
- ومن أغراض التعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

- أ - حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة في الخيال^(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا﴾^(٥) بدل فأنارت.
- ب - وإفادة الاستمرار فيما مضى، كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ أَلَمِّ لَمِنْتَ﴾^(٦) أي: لو استمر على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس - التعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل». نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِقُكُمْ﴾^(٧). أو باسم «المفعول»، نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ جَمْعٍ﴾

(١) المهمة: المفارقة البعيدة. وأرجاؤه: نواحيه.

(٢) سورة النحل، الآية ١.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٤) يوضع المضارع موضع الماضي لإيهام المشاهد بإحضار صورة الشيء في ذهن السامع بصيغة الحاضر.

(٥) سورة فاطر، الآية ٩.

(٦) سورة الحجرات، الآية ٧.

(٧) سورة الذاريات، الآية ٦.

لَهُ الْآثَاسُ^(١). وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةً في الحال، مجازاً فيما سواه.

السادس - يوضَعُ المضمَرُ موضعَ المَظْهَرِ، خلافاً لمقتضى الظاهر، ليتمكّن ما بعده في ذهن السامع، نحو: هو الله عادل.

ويوضَعُ المَظْهَرُ موضعَ المضمَر لزيادة التمكين، نحو: «خيرُ الناس مَنْ نفعَ الناس». أو لإلقاء المهابة في نفس السامع، كقول الخليفة: «أمير المؤمنين يأمر بكذا» أي: أنا أمر.

أو للاستعطف، نحو: «أياذن لي مولاي أن أتكلّم» أي: أتأذن؟

السابع - التغليب: وهو ترجيحُ أحدِ الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه،^(٢) وذلك:

١ - كتغليب المذكر على المؤنث، في قوله تعالى: ﴿وَكَاثَ مِنْ الْقَنِينِ﴾^(٣). وقياسه (القانتات) ونحو: الأبوين (للأب والأم) والقمرين (للمس والقمري).

٢ - وكتغليب الأخفّ على غيره، نحو: الحسنين، في الحسن والحسين.

٣ - وكتغليب الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِي مِلَّةٍ﴾^(٤). أدخل شعيب في العود إلى ملتهم، مع أنه لم يكن فيها قط، ثم خرج منها وعاد، تغليباً للأكثر.

٤ - وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمّ علم المعاني، ويليه «علم البيان»، والله المستعان أولاً وآخرأ.

(١) سورة هود، الآية ١٠٣.

(٢) التغليب: هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآخر ترجيحاً له عليه. والتغليب كثير في كلام العرب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٣) سورة التحريم، الآية ١٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٨٨.

(٥) سورة الفاتحة، الآية ٢.